





الملك عبد العزيز

الشخصية والقيادة

تأليف

إبراهيم بن عبد الله السماري

صدر هذا الكتاب بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية

١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م







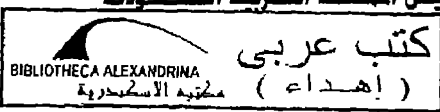
الملك عبد العزيز

الشخصية والقيادة



تأليف
إبراهيم بن عبد الله السماري

صدر هذا الكتاب بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية



١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

ح الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية ، ١٤١٩ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السماري ، إبراهيم بن عبد الله

الملك عبدالعزيز رحمه الله : الشخصية والقيادة .- الرياض

١٦٠ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

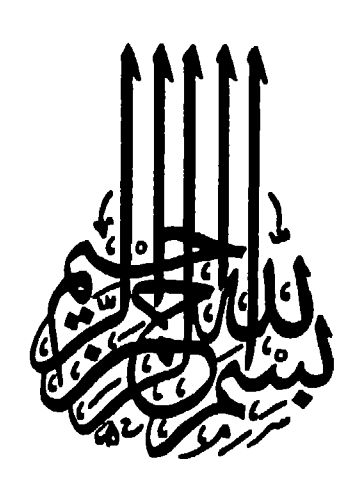
ردمك ٧-٣٩-٦٦٠-٩٩٦٠

١ - عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ، ملك السعودية ٢ - السعودية تاريخ

أ - العنوان

ديوي ٩٥٣.١٠٥ ١٩/٣٠٥٤

رقم الإيداع : ١٩/٣٠٥٤
ردمك ٠ ٧-٣٩-٦٦٠-٩٩٦٠



مُقَـدِّمَة

الحمد للّه الذي أمرنا بشكر النِّعم، ووَعَد الشاكرين بمزيدٍ من فضله العَمِيم، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد . .

فإن الله – جلَّ وعلا – قد أكرمنا في هذه البلاد الطيبة بجمع كلمتنا تحت راية الإسلام الخالدة « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ؛ فكلمة التوحيد هي الأساس الذي قامت عليه هذه البلاد، واتخذتها شعاراً لها ومنهجاً لحياتها وأساساً لنظامها، أكَّد ذلك الملك عبد العزيز بن عبدالرحمن آل سعود حين دخل مدينة الرياض في الخامس من شوال سنة ١٣١٩ هـ ؛ استمراراً للمنهج الذي سار عليه آباؤه وأجداده ، المستَمدٌ من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وقد جاءت فكرة الاحتفال بمناسبة مرور مائة عام على دخول الملك عبد العزيز مدينة الرياض ، وتأسيس المملكة العربية السعودية ؛ تأكيداً لاستمرار المنهج القويم الذي سارت عليه المملكة العربية السعودية والمبادئ السَّامِيَة التي قامت عليها ، ورصداً لبعض الجهود المباركة التي قام بها المؤسِّس الملك عبد العزيز – رحمه الله – في سبيل توحيد المملكة ؛ عرفاناً لفضله ، ووفاءً بحقه ، وتسجيلاً لأبرز المكاسب والإنجازات الوطنية التي تحقَّقت في عهده وعهد أبنائه خلال المائة عام ، والتعريف بها للأجيال القادمة .

وما الأعمال العلمية التي تُصدرها الأمانة العامة للاحتفال بهذه المناسبة إلا شواهد صادقة على نهضة هذه البلاد الزاهرة في ظلّ دوحةِ علمٍ

أصولها ثابتة وفروعها نابتة ، تَوَلَّى غرسها الملك المؤسِّس ، وتعهَّدها من بعده بَنُوهُ ؛ فواصلوا رعايتها حتى امتدَّ ظلُّها ، وزاد ثمرها، فعمَّ البلاد خيرُها ، وانتفع بها الجميع .

وهذا الكتاب يُعنى بجانب من جوانب نهضة هذه البلاد المباركة ، ويوضح مدى اهتمام ولاة الأمر فيها بكل ما من شأنه رقيها وتقدمها في شتى الميادين العلمية ، والتعليمية ، والاجتماعية ، والصحية ، والعسكرية، والاقتصادية ، والعمرانية ، والصناعية ، وما بلغته من ازدهار حضاري في هذه المجالات وغيرها ، مع احتفاظها بشخصيتها الإسلامية ، وأصالتها العربية .

ولما في نشر هذا الكتاب من تيسير للباحثين وراغبي الاطلاع على بعض ملامح تلك النهضة فقد أمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز – حفظه الله – بطبع هذا الكتاب ونشره بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة .

اللَّهم إنا نشكرك ، ونتحدّث بعظيم نعمتك علينا ، وقد وعدتَ الشاكرين بالمزيد ؛ فأدمها نعمة ، واحفظها من الزوال .

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أمير منطقة الرياض
رئيس اللجنة العليا ورئيس اللجنة التحضيرية
للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة
سلمان بن عبد العزيز

مُقَدِّمَة المؤلف

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

فمن الصعوبة بمكان أن يكتب كاتب عن عبقري كالملك عبدالعزيز ، كان أمة في إنجازاته ، التي لا يمكن أن توصف بأقل من أنها إعجاز ، وكان أمة في شخصيته الفذة ، التي لا يمكن أن توصف بأقل من أنها ذات تميز وتأثير قوي .

قائد استطاع أن يجمع الأعداء ، فيَمْخَضَ نفوسَهم ، ليذْهَب الزَّبد جفاء ، ويبقى بريق أخوة الإيمان ، وأصالة النفس الإنسانية .

هذه الشخصية القيادية ، والمواهب الفذة ، تؤكدها حوادث عديدة ، وأحداث كثيرة ، ومواقف شتى ، ربما تتكرر يومياً في حياة الملك عبد العزيز ، غير أن أوضحها دلالة تلك القصة التي رواها الأمير طلال بن عبد العزيز فقال: « كان والدي ذات مرة جالساً بين خلصائه وصفوة أصحابه ، فالتفت يمنة ويسرة وابتسم ، ثم سأل جلساءه : لماذا لا تسألوني عن سبب ابتسامتي ؟

ولم يترك المجال لأحد أن يردَّ على سؤاله ، بل أجاب هو عن السؤال قائلاً: إن سبب ابتسامتي هو : أنني مددت بصري إليكم ، واستعرضتكم واحداً واحداً، فما وجدت فيكم إلا من كان بيني وبين أهله خصومة ، وصلتْ إلى حد المواجهة بالسلاح ، والقتال العنيف الذي لا هوادة فيه .

ومع ذلك أرى لكم في نفسي منزلة من المودة ، هي بمنزلة الأبناء البررة ، والأشقاء الأوفياء . فالمودة هي الأصل الكريم الذي يجري في دمائنا ، وكل ما عداه من الصغائر والتنازع يزول »[١].

وكان هدفي من كتابة هذا البحث عن هذا القائد الملهم ؛ هو أن يعرف كل من يقرؤه الملك عبد العزيز قائداً عظيماً ، وشخصية متميزة المواهب ، وإنساناً نبيلاً ، فيحبه إدراكاً لعظمة شخصيته ، وتقديراً لجهوده في بناء دولة قوية الأركان ، راسخة الجذور، وفق منهج مستمد من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، التزم به هو أولاً ، وربّى أبناءه على التمسك به .

فظهر أثر تمسك قادة هذه البلاد بهذا المنهج – نشأة وتوحيداً وتطويراً – عزًّا مكيناً واستقراراً مشهوداً، شهد به الخصوم قبل المحايدين والأصدقاء، فلم يزل الإنسان في هذه البلاد – مواطناً أو مقيماً أو زائراً – متفيِّئاً ظلال الأمن الشامل والسكينة التامة والازدهار المتنوع .

وقد حرصت على مراعاة الآتي ، فيما وقفت عليه ، ووُفِّقت إليه :

١ – التركيز على التحليل بعيداً عن السرد التأريخي المجرد .

٢ – الحذر عند صياغة الأحداث من كل جالبات الحساسية ، ومثيرات الفتنة، مهما صغرت .

٣ – ألا تعتمد الأفكار والصياغة على الخطاب المباشر ؛ لأنها في هذه الحال لن تحقق أهدافها ، ولكنها – إذا أُحْسِن توظيفها بالأسلوب

---

(١) صور من حياة عبد العزيز ، الأمير طلال بن عبد العزيز ، ص ٨١

المناسب – ستتمكن من الاستحواذ على عقول الناس التي هي مفتاح الدخول إلى أفكارهم، وعلى قلوبهم التي هي مفتاح الدخول إلى عواطفهم ، وعلى أذهانهم التي هي مفتاح الدخول إلى وجدانهم .

٤ – أن تكون صياغة الكتاب مختصرة ومفهومة للصغير والكبير، والعالم ومتوسط العلم .

ولا أدَّعي أنني وفِّقتُ لتحقيق ما أَلْزَمْتُ نفسي بمراعاته ، فالتوفيق منحة من المولى عز وجل ، وجهد البشر يتردد بين الخطأ والصواب ، ولكني اجتهدت وحاولت ، كما أنني لا أتكىء على القول المأثور : « المرء لا يلام بعد اجتهاده » ، وإن كنت أتمنى أن يجد لي من يعثر على قصور أو تقصير في هذا البحث – ولا بد أنه سيجد – العذر ؛ فالكريم يعذر .

ثم إني عندما فرغت من كتابة هذا الموضوع وجدت أنه تجمَّع لدي عدد كثير من الصفحات ، وأنا أعلم أن الهمم اليوم قد ضعفت عند كثير من الناس، وأن النفوس تميل إلى الاختصار ، فشمرت عن ساعد الجد؛ رغبةً في المواءمة مع هذه الحال، فوجدت أنني كمن تُقَدَّم له مائدة مختلفة الأنواع من جيد الأصناف المفيدة، وأطايب الأطعمة النافعة ، ثم يطلب منه أن يقتصر على القليل منها ؛ لأنه لا يستطيع استيعابها كلها .

ووجدت نفسي في مرحلة أخرى كمن يقص حلقات من عقْد ثمين ، هُنَّ كأخواتهن ، ولكنه مجبر على ذلك ؛ لكي يناسب العِقْدُ الجيدَ الذي فصِّل من أجله .

وقد قسَّمت هذا البحث على النحو التالي :

* **مقدمة مختصرة .**

* **الفصل التمهيدي : عصر الملك عبد العزيز وحياته :**

المبحث الأول : عصر الملك عبد العزيز .

المبحث الثاني : حياة الملك عبد العزيز .

* **الفصل الأول : شخصية الملك عبد العزيز :**

المبحث الأول : خصائص شخصية الملك عبد العزيز .

المبحث الثاني : تسخير الملك عبد العزيز حياته ونفوذه في خدمة الإسلام .

المبحث الثالث : منهج الملك عبد العزيز في مخاطبة الناس بحسب أحوالهم .

المبحث الرابع : الانفتاح على العالم مع الاحتفاظ بشخصيته .

* **الفصل الثاني : قيادة الملك عبد العزيز :**

المبحث الأول : خصائصه القيادية .

المبحث الثاني : إعداد الرجال وبناء مؤسسات الدولة .

المبحث الثالث : مشاورة العلماء وذوي الخبرة .

المبحث الرابع : الأوليات في جهوده العلمية .

* **خاتمة مختصرة .**

الفصل التمهيدي

عصر الملك عبد العزيز - رحمه الله - وحياته

المبحث الأول

عصر الملك عبد العزيز

أولا - الخلفية التاريخية :

كان عهد الإمام فيصل بن تركي عهداً زاهراً بالطموحات العريضة لدولةٍ سعودية ناهضة ، مستقلة الكيان ، مرهوبة الجانب ، ولا سيما أن عهد الإمام فيصل بن تركي كان عهد إعادة بناء الدولة السعودية ، بعد ما تعرَّضت له من محاولات الإزالة ، وقد نجح في تحقيق كثير من طموحاته رغم العقبات والصعوبات التي واجهته .

وفي عام ١٢٨٢هـ الموافق ١٨٦٥م توفي الإمام فيصل بن تركي ، فكان ذلك ضربة قاصمة لعملية بناء الدولة وتوحيدها ؛ إذ نشب النزاع، ودبَّ الشقاق بين ابنيه : عبد الله وسعود ؛ تنافساً على الزعامة ، وتسبَّب ذلك في سلسلة من الحروب الطاحنة ، التي امتدت آثارها السلبية قرابة ثلاثين عاماً .

وأسهم هذا النزاع المرير في حفز طموحات الأعداء المتربصين بالدولة السعودية ، على البحث عن غنائم ومكاسب لم يكن يحلم بها هؤلاء في العهد السابق ؛ فنُظِّمَتْ حملةٌ عسكرية بقيادة مدحت باشا ؛ للاستيلاء على الأحساء، وقطع الصلة بين نجد وعُمان . فكان ذلك سبباً – في نظر كثير من المؤرخين – لسهولة استيلاء الإنكليز على عُمان فيما بعد .

وأصبح من الأمور المعتادة مناصرة بعض شيوخ القبائل لهذا الأمير على أخيه اليوم ، ومناصرة الآخر غداً ؛ لتحقيق مغانم ومكاسب مادية لأنفسهم .

وكان أكبر المستفيدين هو محمد بن رشيد ، حاكم حائل آنذاك ، فقد استفاد من ثورة أبناء سعود بن فيصل على عمهم عبدالله بن فيصل لانتزاع الحكم منه؛ فقدم إلى الرياض عام ١٣٠٦هـ الموافق عام ١٨٨٨م في قوة كبيرة كان ظاهرها نصرة الإمام عبدالله بن سعود، وباطنها مدُّ سلطته ، وتوسعة سلطانه .

فأخرج الإمام عبدالله بن سعود من السجن ، وهزم محمد بن سعود، ولكنه – وهذا هو الهدف الأول عنده – ألحق مدينة الرياض ، عاصمة الدولة السعودية ، بمدينة حائل ، مقر إمارة آل رشيد ، وعيَّن أحد أخواله ممثلاً له فيها .

بل إن هذا الجو الغائم ، الملبد بالشحناء والشقاق أغرى ابن رشيد بأن يفكر بتدبير مكيدة بالإمام عبدالرحمن ، بواسطة ممثله في الرياض سالم السبهان ، غير أن الإمام عبدالرحمن شمَّ رائحة المؤامرة ، وفطن للمكيدة ؛ فاعتقل ممثل ابن رشيد ومن معه ، وأودعهم السجن ، معيداً للرياض استقلالها ، وشخصيتها ، عاصمةً للدولة السعودية .

ولم تقف طموحات ابن رشيد عند هذا الحد ؛ إذ إنه يدرك أنه إذا لم يكن قادراً في هذا الوقت بالذات على هزيمة الدولة السعودية فلن يهزمها بعد ، فقصد الرياض في قوة عسكرية ، وحاصرها ، غير أن ابن رشيد لم ينجح في إخضاعها لنفوذه ، كما لم ينجح الإمام عبدالرحمن في هزيمته ، وإبعاده عن بلاده .

فانتدب ابن رشيد رسولاً، أرسله إلى الإمام عبد الرحمن يطلب الدخول في مفاوضات الصلح والاتفاق ، فاستجاب له وألّف لمفاوضته وفداً ، هذه أسماء أعضائه :

١ - محمد بن فيصل (شقيق الإمام) رئيساً .

٢ - عبد العزيز بن عبد الرحمن (نجله) عضواً .

٣ - الشيخ عبد الله ابن الشيخ عبد اللطيف ، عضواً .

واجتمع الوفدان السعودي والرشيدي ، ودارت مفاوضات ، انتهت بالاتفاق على عقد الصلح ، ضمن الشروط الآتية :

١ - إطلاق سراح سالم السبهان .

٢ - تكون إمارة العارض لعبد الرحمن بن فيصل .

٣ - يعود ابن رشيد إلى حائل .

وكان ذلك في سنة ١٣٠٧ هـ »[١] .

وذكر بعض المؤرخين عضواً رابعاً في وفد الإمام عبد الرحمن هو : الشيخ حمد بن فارس بن محمد بن فارس ، أمين بيت المال آنذاك [٢] .

---

(١) تاريخ الدولة السعودية ، أمين سعيد ، ج١ ص ١٨٢ ، وانظر في تسمية أعضاء الوفد الثلاثة : تعليق الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف على كتاب عقد الدرر ... ، لابن عيسى ، ص ٩٩ ، و: نجد وملحقاته ، لأمين الريحاني ، ص ١٠٤ ، و: تاريخ البلاد العربية السعودية ، لفؤاد حمزة ، ص ١٥ ، و : شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، للزركلي ، ١ /٥٥-٦٠

(٢) انظر : رواية الشيخ حمد بن عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ ، مشروع التاريخ الشفوي ، دارة الملك عبد العزيز ، وانظر تاريخ ملوك آل سعود ، للأمير سعود بن هذلول ١ /٤٨ ، و : تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان ، للشيخ إبراهيم بن عبيد العبد المحسن ، ١ /٢٨٢

وبعد انتصار ابن رشيد في معركة المليدا [١]، أدرك الإمام عبد الرحمن أنه ليس في قدرته الوقوف في وجه ابن رشيد ، فقرر الرحيل عن نجد . ومما يسجَّل للإمام عبد الرحمن هنا أنه لم يقبل عرض الدولة العثمانية نصرته وتمكينه ، مقابل دفعه الخراج ، وخضوعه لتبعيتها ، وآثر الرحيل متنقلاً بين البادية ، وقطر ، والبحرين ، حتى استقر به المقام في الكويت .

ومن الجدير بالتسجيل عند استعراض مجريات العصر الذي ولد وعاش فيه الملك عبد العزيز ؛ أن يشار إلى أن الملك عبد العزيز وُلِد أيام نكبة انقسام الدولة السعودية ، والصراع بين قادتها . وأنه حين شارك في المفاوضات مع وفد ابن رشيد، كان عمره قرابة أربعة عشر عاماً [٢]، أو أقل من ذلك، وأنه عندما رحل أبوه الإمام عبدالرحمن من الرياض، كان يخطو في مدارج السنة الخامسة عشرة من عمره .

فاسترجع في ذهنه مشاهد محاولة الفتك بوالده من سالم السبهان، ومبادرة والده إلى رد كيده في نحره ، وتذكُّر المفاوضات مع وفد ابن رشيد ، وتجرع مرارة ذكرياتها .

---

(١) وقعت سنة ١٣٠٨ هـ (١٨٩٠م) في مكان يُسمى المليدا بالقصيم ، حين عزا ابن رشيد القصيم، ودارت معركة بين الطرفين في القرعاء ، فأظهر ابن رشيد الهزيمة ، ولحقه أهل القصيم ، فهجمت عليهم الخيل ، وألحق بهم ابن رشيد هزيمة عظيمة ، وكانت هذه المعركة الخطوة الكبرى والنهائية في استيلاء ابن رشيد على نجد؛ والقضاء على حكام آل سعود آنذاك . انظر: « نجد وملحقاته ... » لأمين الريحاني ، ص ١٠٥ ، و« عقد الدرر . » لإبراهيم بن عيسى ، ص ١٠٠ .

(٢) على الراجح من تاريخ ولادته ؛ إذ إن هذا التاريخ ليس محل اتفاق المؤرخين .

فلا عجب بعد ذلك أن نرى سلوكه قد تشرب آثار هذا العصر، فألبسه إصراراً وعزيمة على تجاوز آثار هذه النكبة ، وبناء الدولة ، وتوحيد البلاد .

ثانيا - عصر زاخر بالأحداث :

عندما استرد الملك عبد العزيز ملك آبائه ، وسعى حثيثاً لتوطيد ملكه ، وبناء الدولة وتوحيد البلاد ؛ كانت تنتظره أحداث كبرى ، وجد نفسه مضطراً للتعامل معها، والحكم على مواهبه في الإفادة منها. ويمكن الإشارة إلى أهم حدثين في عصر الملك عبد العزيز على النحو التالي [1]:

١ - إعلان الدولة الإيطالية الحرب على الدولة العثمانية عام ١٣٢٩ هـ (١٩١١م)، وإعلان دول البلقان الحرب على الدولة العثمانية سنة ١٣٣٠هـ .

٢ - الحرب العالمية الأولى سنة ١٣٣٢ هـ الموافق ١٩١٤ م .

وقد استفاد الملك عبد العزيز من هذين الحدثين إفادة كبرى في إظهار مواهبه في حسن التعامل مع الأحداث الكبرى ، واكتساب مهارات قيادية بالتجربة، فهذه الإفادة نمّت عن عظم قدراته السياسية، ومواهبه الفطرية .

---

(١) انظر في ذلك : تاريخ الدولة السعودية ، أمين سعيد ، ج٢ ص ١١ ، و « تاريخ العرب الحديث .. » د. حلمي إسماعيل ص ٢٦٩ ، ٢٧٠

المبحث الثاني

حياة الملك عبد العزيز

أولاً- ميلاد الملك عبد العزيز ، ونشأته :

ولد الملك عبد العزيز سنة ١٢٩٣هـ ١٨٧٦م ، بمدينة الرياض . يقول عنه صاحب السمو الملكي الأمير طلال بن عبد العزيز : « ولكنَّ الحقيقة التي أعرفها عن والدي شخصياً هي أنه ولد سنة ١٢٩٣هجرية . ولقد سمعته أكثر من مرة يقول : « نحن أهل نجد نُدَمْدِم (أي : نخفي) أعمارنا . لقد دمدمت ثلاث أو أربع سنوات من عمري » وكنت منذ صغري أحسب عمره معه »[1].

وحين تفتحت مداركه كانت البلاد تئن تحت من آثار النزاع والشقاق بين الإخوة المتناحرين على السلطة – أعمامه – وشاهد كيف كان أبوه عبد الرحمن يتحاشى الخوض في مستنقع تلك الخلافات .

وحين قرر والده الرحيل عن نجد لتوقُّعه استيلاء ابن رشيد عليها ؛ كان مما يؤرِّق فكره كيفية إعادة حكم آل سعود ، المبني على الكتاب والسنة ، وكيفية إعادة توحيد البلاد . وربما كان هذا الطفل الصغير (عبد العزيز) ، بما رأى فيه من علامات النبوغ ، معقِد الحلم الكبير ، الذي يملأ فكر والده .

---

(١) انظر : صور من حياة عبد العزيز ، لسمو الأمير طلال بن عبد العزيز ، ص ٢٦ ، وخير الدين الزركلي في كتابه : « الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، ص ١٧ . ويذكر أمين سعيد في كتابه : تاريخ الدولة السعودية ، ج٢ ص ٩ ، والدكتور سعود بن دريب في كتابه . « الملك عبد العزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية ، ص ٩ : أن الملك عبد العزيز ولد عام ١٢٩٧هـ. ويذكر بنوا ميشان في كتابه . « الملك عبد العزيز . سيرة بطل ومولد مملكة ، ص ٤٣ الذي نقله إلى العربية عبد الفتاح ياسين . أن الملك عبد العزيز ولد في شهر ربيع الأول عام ١٢٩٨ هـ الموافق ١٨٨١م .

والمرحلة الأولى في رحلة الإمام عن نجد تستوقف المتأمل ؛ إذ قد تكون مقصودةً لإعداد هذا الغلام (عبد العزيز) لحمل العبء الكبير الذي ينوء به فكر والده ؛ فقد سافر الإمام عبد الرحمن ، ومعه ابنه عبد العزيز إلى بادية الربع الخالي ، وهناك تعلم الغلام اليافع كيفية التعامل مع قسوة الصحراء ، وشظف العيش ، ولكنه ما نسي أبداً قوة إيمانه بربه أولاً ، وثقته بنفسه ثانياً .

« جمع عبد الرحمن في خيمته ابنه، والحراس الثلاثة الذين بقوا بصحبته، وقال لهم ، وهو يستجمع آخر قواه :

– بات من واجبي أن أحدثكم صريحاً ، فقد شاءت إرادة الله – فيما يبدو – أن أموت هنا ، ولا مردَّ ولا اعتراض على مشيئته ، والشكر والحمد له على كل حال...

– لا ، – قال عبد العزيز – لن نموت هنا .

– وما الذي جعلك واثقاً من ذلك ؟

– لأني سأصبح ملكاً على الجزيرة العربية عندما أكبر .

دهش عبد الرحمن لعبارة ولده ، ونظر إليه مليّاً ، ففوجئ برؤية بريق في عيني الفتى ، لم يكن قد شاهده أبداً من قبل »[1] .

ثانياً - صفاته الجسمية :

قد يكون أدق وصف لصفات الملك عبد العزيز الجسمية هو :

---

(١) انظر . عبد العزيز آل سعود . سيرة بطل ومولد مملكة ، بنوا مشان ، نقله إلى العربية . عبد الفتاح ياسين ، ص ٥٦ .

ما ذكره ضاري بن فهيد الرشيد، تُوُفِّي عام ١٣٣١هـ، حيث قال عنه: « أما ابن سعود فهو: عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي، وهو رجل شجاع، صاحب سياسة في قومه، وله تصرفات في الحرب، ومكائد أكثرها ينجح .

وهو رجل مديد القامة، حتى إنه لم يكن في نجد اليوم أطول منه، وهو مع ذلك متناسب الأعضاء، حسن الوجه، أبيض، وشعره أسود، خفيف اللحية والعارضين، وهو جواد محبوب، ذو رأفة في عشيرته، وممالكه »[1] .

وصفات الملك عبد العزيز الجسمية وضعت له الهيبة في النفوس، وذلك من فضل الله تعالى عليه، و « لقد منح الله الملك عبد العزيز بسطة في الجسم، وهي مظهر من مظاهر الوقار، كما منحه الهيبة والجلال »[2] .

« وجلالته طويل القامة، مُهاب الطلعة، قوي الذاكرة، متوقد الذهن، شديد الذكاء، واسع الحيلة، حسن التدبير، كثير التجارب »[3] .

ثالثاً - رحلاته وسفاراته (قبل المُلْك):

مثلما وجد عبد العزيز نفسه في خضمِّ الأحداث عضواً في وفد والده للتصالح مع وفد ابن رشيد، وهو ابن أربع عشرة سنة تقريباً،

---

(١) نبذة تاريخية عن نجد، أملاها الأمير: ضاري بن فهيد الرشيد، وكتبها . وديع البستاني، ص١٢٦، وانظر: ملوك العرب، لأمين الريحاني، ٢/ ٤٩ .

(٢) الملك عبد العزيز، سيرة لا تاريخ، لفؤاد شاكر، ص ٦٠ .

(٣) الإمام العادل، لعبد الحميد الخطيب، ج٢ ص ٦ .

وجد نفسه – وهو ابن خمس عشرة سنة تقريباً لا غير – سفيراً لوالده إلى حاكم البحرين ؛ لاستضافة النساء من أسرته [1].

« ثم أرسله والده إلى الهفوف، قاعدة الحسا، وكانت تابعة حينذاك للدولة العثمانية ، عسى أن يسمحوا له ولرجاله بالإقامة بجوارها ، إلا أن سفارته هذه لم تفلح ، حيث امتنع الترك من إيوائه » [2] .

وبعد تعثُّر هذه السفارة ، ورَفْضِ محمد بن صباح قدوم عبدالرحمن ومن معه للإقامة في الكويت ؛ لبث عبد الرحمن ومن معه في الصحراء شهوراً ، ثم أَمُّوا قطر، فاستقر عبد الرحمن ، وولده عبدالعزيز، ومن معهما في ضيافة قاسم بن ثاني ، ولحقت بهم أسرهم التي كانت في البحرين .

وفي عام ١٣١٠هـ الموافق ١٨٩٢م انتقل الملك عبد العزيز مع والده إلى الكويت ، بعد اتفاق مع الدولة العثمانية .

وبعد الاستقرار هناك بدأ حلم العودة إلى الوطن .

رابعاً - التأسيس والتوحيد :

يذكر المؤرخون [3] أن الملك عبد العزيز أثناء إقامته في الكويت لم يزل يذكر ملك آبائه ، ويستذكر سيرة أجداده أئمة آل سعود ،

---

(١) انظر · الوجيز فى سيرة الملك عبد العزيز ، لخير الدين الزركلى ، ص ١٨ .

(٢) الملك عبد العزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية ، للدكتور سعود بن دريب ، ص ١٢

(٣) انظر مثلا نجد وملحقاته . . ، لأمين الريحانى ، ص ١٢٠ ، و : توحيد المملكة العربية السعودية ، لمحمد المانع ، ص ٣٧ ، و : معجزة فوق الرمال ، لأحمد عسه ، ص ٤٨ .

ويخطط لاستعادة ملكه المسلوب ، حتى إذا وجد أن لديه القدرة على تنفيذ مخططه ، انطلق مع أربعين من أصحابه من الكويت صوب الرياض ، واستطاع استردادها في ملحمة بطولية وبراعة فائقة في اليوم الخامس من شهر شوال عام ١٣١٩هـ الموافق الخامس عشر من شهر يناير عام ١٩٠٢م .

وقد أدرك عبد العزيز أن الرياض وحدها لا تحميه ، فلابد من التوسع وكسب الأنصار ، فاتجه إلى الجنوب، حيث يجمع الهدفين ، يضم بلاداً إلى الرياض ، ولا يتحرَّش بابن رشيد . استولى على الخرج ، وهي على ٨٠ كيلومتراً من الرياض جنوباً ، وفيها الماء والكلأ ، وكانت من معاقل آل سعود فيما تقدم من الزمن القريب، وأخذ الحريق والحوطة والأفلاج ، وبلغ وادي الدواسر على حدود الربع الخالي [١] .

وفي سعيه لبناء الدولة السعودية استعاد الملك عبد العزيز الأحساء عام ١٣٣١هـ الموافق ١٩١٣م [٢] ، وحائل في شهر صفر عام ١٣٤٠ هـ الموافق ١٩٢١م [٣]، وضم إقليم عسير عام ١٣٤١هـ الموافق ١٩٢٢م [٤]،

---

(١) الوحبر في سيرة الملك عبد العزيز ، لخير الدين الرزكلي ، ص ٣٠

(٢) انظر : الملك الراشد ، عبد المنعم الغلامي ، ص ٢٨ ، و : تاريخ الدولة السعودية ، أمين سعيد ، ح٢ ص٥٦ .

(٣) انظر : الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، لخير الدين الزركلي ، ص ٦٨ ، و . الملك الراشد ، لعبدالمنعم العلامي ، ص ٣٣ ، و : تاريخ الدولة السعودية ، أمين سعيد ، ٢ / ١٠٢ .

(٤) انظر . الملك الراشد ، عبد المنعم العلامي ، ص ٣٤

ودخل مكة شهر جمادى الأولى عام ١٣٤٣ هـ الموافق ديسمبر ١٩٢٤م[١] .

وهكذا أصبح حلم التوحيد الذي راود الملك عبد العزيز ذات يوم، وهو صبي مطارَد من أعدائه ، وتعجب منه أبوه آنذاك ؛ أصبح اليوم حقيقة هي أقرب إلى المعجزات الكبرى « وصدر مرسوم يوم ٢١ جمادى الأولى [٢] عام ١٣٥١هـ يقضي بتوحيد أجزاء المملكة ، وبأن تُسمى : المملكة العربية السعودية ، ويكون لقب ملكها : ملك المملكة العربية السعودية »[٣] .

---

(١) انظر : جزيرة العرب في القرن العشرين ، لحافظ وهبة ، ص ٢٧٠ ، وانظر : خمسون عاماً في جزيرة العرب ، لحافظ وهبة ، ص ٦١ .

(٢) الصواب : أن المرسوم صدر يوم ١٧ جمادى الأولى ١٣٥١ هـ وتنفيذه في ٢١ منه ، انظر : تنظيمات الدولة في عهد الملك عبد العزيز ، للدكتور إبراهيم العتيبي ص ١٦٠ .

(٣) تاريخ الدولة السعودية ، أمين سعيد ، ج٢ ص ١٨٤ .

الفصل الأول

شخصية الملك عبد العزيز

المبحث الأول

خصائص شخصية الملك عبد العزيز

أولاً - عبقرية الملك عبد العزيز :

عبقرية الإنسان هي ابنة شخصيته، ولأن العبقرية لا يمكن أن تنبت من فراغ ؛ فإن من السهل أن يقرر المتأمل أن الشخصية هي مَنْبَتُها .

لقد كانت عبقرية الملك عبد العزيز تجعله – ولا سيما في المواقف العصيبة الصعبة – في الموقع الذي قد يقصر عنه أمل المؤمِّل إن كان صديقاً، وقد لا يصله توقُّع المتوقع إن كان خصماً أو محايداً ، مما يجعل أثر هذه الشخصية في النفوس أقوى ، وتأثيرها فيها أبلغ أثراً ، فلا غَرْو أن تكون مثار الإعجاب والتعجب من محبيه ، ومن خصومه وأعدائه على السواء .

وعملية استجلاء خصائص هذه الشخصية تحتاج إلى دراسات متأملة في الوقائع والأحداث والمواقف ، وتحتاج إلى أدوات فطرية ومادية؛ لاستنطاق العِبر من هذه الوقائع والأحداث والمواقف ، وإحكام هذه الغاية ، وهذا الهدف صعب إلا بعملية تتضافر لأجلها الجهود ؛ ليست جهود الأفراد فحسب ، بل ومراكز البحوث والدراسات العلمية كذلك .

وحسبي هنا الإشارة – قدر الطاقة – إلى شيء من هذه الخصائص بإيجاز شديد ، يناسب الهدف من الكتابة في هذا الموضوع ، منوِّهاً إلى أن المتأمل فيها بثاقب فكره ، سيجد أنها مزيجٌ متوازنٌ من الخصائص الفطرية التي فطره الخالق عليها ، ومن الخصائص المكتسبة التي استفادها من تجاربه وخبراته .

ثانياً - أهم خصائص شخصية الملك عبد العزيز :

١ - التزامه المنهج السلفي في فكره وسلوكه :

وهو المنهج الذي يعني في مدلوله الخاص : الاقتداء بالرسول - صلى الله عليه وسلم - في أقواله وأفعاله وتقريراته ، والاقتداء بمنهج صحابته الكرام ، تحكيماً لقول الله تعالى : ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ**﴾ (١) ولقوله صلى الله عليه وسلم : « أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، وإن كان عبداً حبشياً ؛ فإنه من يَعِشْ منكم يرى بعدي اختلافاً كثيراً . فعليكم بسنتي ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديِّين ، وعضُّوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ؛ فإن كل محدثة بدعة ، وإن كل بدعة ضلالة » (٢) .

ومن أهم خصائص منهج الملك عبد العزيز أنه يقوم على اتِّباع الدليل ، لا اتباع الرجال؛ لأن هذه الخصيصة من أهم خصائص المنهج السلفي، وقد أكَّدها الملك عبد العزيز بقوله : « لانتقيَّد بمذهب دون آخر ، ومتى وجدنا الدليل القوي في أي مذهب من المذاهب الأربعة رجعنا إليه ، وتمسكنا به ، وإذا لم نجد دليلاً قوياً أخذنا بقول الإمام أحمد . فهذا كتاب الطحاوية في العقيدة ، الذي نقرؤه ؛ شَرَحه للأحناف ، وهذا تفسير ابن كثير وهو شافعي » (٣) .

---

(١) سورة الأحزاب ، آية ٢١

(٢) مسند الإمام أحمد . مسند الشاميين ، وانظر سنن الترمذي : كتاب العلم ، وسنن أبي داود : كتاب السنة ، وسنن ابن ماجة في المقدمة ، وكلهم عن العرباض بن سارية رضي الله عنه .

(٣) جريدة أم القرى ، العدد ٤٨٤ في ١٣٥٢/١٢/٨ ، الموافق ١٩٣٤/٣/٢٤م (مصورات فلمية ، مكتبة الملك فهد) .

والمنهج السلفي عند الملك عبد العزيز ، ليس قولاً يقال وينسى عند التطبيق، ولكنه تطبيق وممارسة ، وغضب لله ورسوله إذا انتهكت محارمه. يقول فؤاد شاكر : « لقد شهدت الملك – أي عبد العزيز – أشد ما يكون غضباً وثورة وهياجاً ذات صباح ، والملك قليل الغضب ، إلا فيما يتصل بأمور الدين ، حيث لا تأخذه فيه لومة لائم ، والحق أحق أن يتبع، كما كان يقول، وحيث محارم الله التي لا يُسمح بانتهاكها.

دخلت على جلالته أستأذنه في دخول هيئة عليا من هيئات بعثات الحج الرسمية ... ، وحين دخلت بهم على جلالته ، وهو يتصدر مجلسه ، وأنا أتقدمهم ، فما راعني إلا أن حركة ثورة عارمة في وجه جلالته ، وما إن التفت إلى ورائي حتى رأيت البعثة ورئيسها يحنون رؤوسهم وقاماتهم وهاماتهم إلى ما يشبه الركوع ، فإذا بجلالة الملك يصرخ في غضب شديد : لا ، لا . ارفع رأسك يا شيخ ، ارفع رأسك أنت وجماعتك ، هذا حرام ، حرام ، لا يجوز الركوع لغير الله – سبحانه وتعالى – خالقنا العظيم »[1] .

٢ – حرصه على سيادة شرع الله :

البيئة الدينية التي نشأ فيها الملك عبد العزيز جعلته يدرك أن أهم وظائف الدولة الإسلامية هي: تحقيق سيادة شرع الله، ونشر الدعوة الإسلامية؛ امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾[2]

---

(١) الملك عبد العزيز : سيرة لا تاريخ ، فؤاد شاكر ، ص ٥٧.

(٢) سورة الحج ، الآية ٤١ .

وقد تبين عمق هذا الإدراك جليًّا في خطاب الملك عبد العزيز في الجلسة الافتتاحية لمجلس الشورى بتاريخ ٧ ربيع الأول ١٣٤٩هـ الموافق ١ أغسطس ١٩٣٠م ؛ إذ قال مخاطباً أعضاء المجلس والحاضرين: «وإنكم تعلمون أن أساس حكمنا ونظمنا هو الشرع الإسلامي ، وأنتم في تلك الدائرة أحرار في سن كل نظام ، وإقرار العمل الذي ترونه موافقاً لصالح البلاد ، على شرط ألا يكون مخالفاً للشريعة الإسلامية ؛ لأن العمل الذي يخالف الشرع لن يكون مفيداً لأحد، والضرر كل الضرر هو السير على غير الأساس الذي جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم »[١].

فهذه الكلمات دليل شديد السطع على أن إيمان الملك عبد العزيز بضرورة سيادة الشرع ليس إيماناً بأهمية هذه السيادة لحماية الدولة فحسب، ولكنه إيمان يجمع بين الواقع والهدف ؛ فهو يرى سيادة شرع الله ورسوله سببَ كل خير لكل أحد، ويرى التقصير فيه مورد كل ضرر لكل أحد.

«ولقد قال الملك الراحل عبارات خالدة ، يمكن أن نعتبرها مصدراً رئيساً لما أشرنا إليه ، أي إدراك الملك عبد العزيز أن من وظائف الدولة الإسلامية: نشر الدعوة الإسلامية في العالم بالحسنى والحوار والحكمة، قال حين دخل مكة: نحن دعاة ولسنا بحكام، دعاة لدين الله، والإخلاص لعبادة الله، ولم نقدم من ديارنا إليكم إلا انتصاراً لدين الله»[٢].

والحرص على سيادة شرع الله أنبت الأمن لعباد الله ، فعمَّت السكينة والطمأنينة البلاد السعودية، وقد أدرك هذا المعنى المسلمون، وغير المسلمين كذلك .

---

(١) المصحف والسيف ، لمحيي الدين القاسي ، ص ٥٩.

(٢) الملك عبد العزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية ، للدكتور سعود بن دريب ، ص ٢٠ .

يحدثنا (موريس جارنو) في كتابه (تحقيق حول ابن سعود) فيقول : « إذا كان ابن سعود نجح في لمّ شعث الجزيرة العربية تحت لوائه، وإذا كان قد جعل من بلد مضطرب آهلٍ بالعصابات البلدَ الأكثر أمناً في العالم ؛ فمردُّ ذلك ليس للقوة والسيف فحسب ، بل لأنه سكب في أعماق الأمة الناشئة أقوى عوامل التراصّ والتماسك ، أي : التقيد الشديد بأحكام القرآن »[1].

٣ – ثقته بنفسه ، بعد الثقة بالله أولاً ، وعدم الاغترار بالقشور :

فلم يخدعْه سراب الدعوة إلى التجديد ؛ للتقليد ، وأعلن موقفه منه بقوله : « إننا لا نبغي التجديد الذي يفقدنا ديننا وعقيدتنا ، إننا نبغي مرضاة الله ، ومَنْ عَمِل ابتغاء مرضاة الله فهو حسبه ، وهو ناصره ، فالمسلمون لا يُعْوِزُهم التجديد ، وإنما يعوزهم العودة إلى ما كان عليه السلف الصالح »[2].

ويقول مرة أخرى : « ومنهم من عاب علينا التمسك بالدين ، وعدم الأخذ بالأعمال العصرية . فأما الدين فوالله لا أغيِّرُ شيئاً مما أنزل الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا أتَّبع إلا ما جاء به ، ولْيَغْضَبْ علينا من شاء وأراد . وأما الأمور العصرية التي تعنينا وتفيدنا ويبيحها دين الإسلام فنحن نأخذها، ونعمل بها ، ونسعى في تعميمها ، أما المنافي منها للإسلام ، فإننا ننبذه ، ونسعى جهدنا في مقاومته ؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، ولا مدنية أفضل وأحسن من مدنية الإسلام ، ولا عزَّ لنا إلا بالتمسك به »[3].

---

(١) الملك عبد العزيز . سيرة بطل ومولد مملكة ، بنوا ميشان ، تعريب عبد الفتاح ياسين ، ص٢٠٧ .
(٢) المصحف والسيف ، لمحيي الدين القابسي ، ص ٥٣ .
(٣) المصحف والسيف ، لمحيي الدين القابسي ، ص ٧١

٤ - الإخلاص والتجرُّد من زخرف الدنيا :

لقد كانت هذه الخصيصة مفتاح شخصية الملك عبد العزيز ؛ لمن أراد صادقاً الوصول إلى سر نجاحها وعظمتها ؛ وفي كثير من خطبه وأحاديثه - إن لم يكن كلها - يؤكد الملك عبد العزيز هذه الخصيصة ويرسخها قولاً وعملاً.

يقول : « إن المسلمين بخير إذا اتفقوا ، وعملوا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.. ليتقدم المسلمون للعمل بذلك، فيتفقون فيما بينهم على العمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وبما جاء فيهما ، والدعوة إلى التوحيد الخالص؛ فإنني - حينذاك - أتقدم إليهم، فأسير وإياهم جنباً إلى جنب في كل عمل يعملونه وفي كل حركة يقومون بها . والله إنني لا أحب المُلْك وأبهته ، ولا أبغي إلا مرضاة الله والدعوة إلى التوحيد »[1].

ويقول في مناسبة أخرى : « يقولون : التمدُّن والمدنية الأوربية هي الغاية القصوى ، وهذا وَهْمٌ باطل ؛ فإن الله جعل من كل شيء أفضله مباحاً لنا. وأحبُّ شيء إلينا هو : العمل الخالص ، والنية الحسنة ، والإخلاص في العمل هو أكبر سلاح لنا ، فيجب أن نعمل على طاعة الله بإخلاص »[2] .

٥ - حرصه على التخطيط :

لقد أدرك الملك عبد العزيز مبكراً أهمية التخطيط في سلامة العمل، وتحقيق الأهداف المرومة ، فهو يقول : « أنا أتأخر وأتقدم بقدر الحاجة ،

---

(١) المصحف والسيف ، لمحيي الدين القابسي ، ص ٥٤ .

(٢) المصحف والسيف ، لمحيي الدين القابسي ، ص ٦١ .

ولا أعمل عملاً أخرب به بلادي ، وإذا جاء وقت العمل واللقاء ، فالعار على الذي يتأخر»[1].

وسيجد المتأمل في سيرة الملك عبد العزيز البرهان جليًّا على حرصه على التخطيط ، في الملحمة الكبرى (فتح الرياض) .

فالتخطيط واضح للعيان ، حيث حرص على تتبُّع أخبار بادية نجد ، وموقفها من حكامها ، وهو حينذاك يقيم في الكويت ، وقد عزم على تحقيق طموحه الكبير ، وحاول جَسّ نبض القدرات العسكرية عند خصومه بمحاولته الأولى التي لم تتم ، وحين حانت ساعة الصفر وضع لكل أمر عدَّته من الحساب الدقيق ، والتخطيط المحكم ، فاختار الرجال الذين يمكن الاعتماد عليهم ، ووزَّع المسؤوليات عليهم توزيعاً مناسباً لقدرات كل منهم وخصائصه ، ودرس الاحتمالات الممكنة ، ووضع الحلول للتغلب عليها .

وهو يصرح بأهمية التخطيط أمام الجلسة الافتتاحية لمجلس الشورى ، فيقول : « لقد أمرت ألا يُسنَّ نظام في البلاد ، ويجري العمل به قبل أن يعرض على مجلسكم من قبل النيابة العامة ، وتنقِّحوه بمنتهى حرية الرأي على الشكل الذي يكون منه الفائدة لهذه البلاد، ولقاصديها من حجاج بيت الله الحرام ... ولا أحتاج في هذا الموقف أن أذكركم بأن هذا البلد المقدس يتطلَّب النظر فيما يحفظ حقوق أهله ، وما يؤمِّن الراحة لحجاج بيت الله الحرام. ولذلك فإنكم تتحملون مسؤولية عظيمة، إزاء ما يعرض عليكم من النظم والمشاريع ، سواء كانت تتعلق بالبلاد أو بوفود الحجاج ، من حيث اتخاذ النظم التي تحفظ راحتهم واطمئنانهم في هذا البلد المقدس»[2] .

---

(١) المصحف والسيف ، لمحيى الدين القاسي ، ص ٨٢ .

(٢) انظر : المصحف والسيف ، لمحيي الدين القابسي ، ص ٥٩ .

« بيد أن الدوائر السياسية التي كانت تسود الحجاز في ذلك العهد، لم تكن على علم بالإصلاح الاجتماعي الكبير ، الذي تنطوي عليه نفس عبد العزيز الطامحة .

أما هو فيعرف ماذا يريد ؛ لأنه كان قد خطط له ، وعزم على تنفيذه منذ أن فتح مدينة الرياض: جمع هذه الأمة تحت لواء واحد، وإعادة الإسلام إلى جوهره الناصع ، وروحه الصافية »[1] .

ولم يقف إدراك الملك عبد العزيز لهذه الأهمية عند حدود القول المجرد فحسب، ولكنَّ القولَ صدَّقه الفعلُ ؛ فأنشأ التنظيمات الإدارية للدولة التي جعلت التخطيط أهم أعمالها وأهدافها .

ومن أهم تلك التنظيمات على سبيل المثال لا الحصر : مجلس الوكلاء في الحجاز ، ومجلس الشورى ، ومجلس الوزراء ، ونظام القضاء ، ونظام هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الحجاز وفي نجد ، ووزارة المالية ، والمديرية العامة للحج ، وديوان الموظفين العام والتقاعد ، ومديرية الزراعة ، والمديرية العامة لشؤون البترول والمعادن ، ونظام العمل والعمال ، ومؤسسة النقد العربي السعودي ، ووزارة الدفاع ، ووزارة الداخلية [2].

---

(١) صور من حياة عبد العزيز ، للأمير طلال بن عبد العزيز ، ص ٤١ .

(٢) انظر: تنظيمات الدولة في عهد الملك عبد العزيز، للدكتور: إبراهيم بن عوض العتيبي ص٩٩ -٣٥٣. و : الملك عبد العزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية، للدكتور سعود بن دريب ، ص ٥٥ - ١٦٤. و : التنظيم الإداري في المملكة العربية السعودية ، للدكتور عبد المعطي عساف ، ص ١٠٣ - ٢٠٥ ، و . المملكة العربية السعودية ، الشريعة الإسلامية تحكم ، للدكتور منير هارون ، ص ٣٩ - ٦٩

٦ - كونه ذا خبرة وعلم :

أما كونه ذا خبرة فإن الملك عبد العزيز وجد نفسه منذ سنيِّه الأولى ركناً أساساً في معترك الأحداث ، يسير في دروبها السلسة حيناً ، وفي مسالكها الوعرة حيناً آخر، فيجمع من ثمار الخبرة والدُّرْبَة ما يعينه على تحقيق أهدافه، ويغترف من نهر التجربة ما يقيه العطش إلى السوابق النافعة وإلى التجارب المفيدة .

وحين كلّفه والده الإمام عبد الرحمن بأن يكون في وفد التفاوض مع ابن رشيد، وهو ابن أربع عشرة سنة ، وحين أرسله موفداً إلى حاكم البحرين، وهو ابن خمس عشرة سنة ، لا بد أنه كان يأنس منه بوادر عبقرية ، تحتاج إلى الخبرة والتجربة لتنضج .

وكانت حياته بعد الرحيل عن بلاده مع والده ، معايشاً شظف الصحراء وقساوة طبيعتها ، مختبراً لاكتشاف مواهبه وقدراته وعبقريته .

ثم كانت حياته في الكويت معايشاً الوفود من مندوبي الدول وكبار القوم ، ومعايشته طبيعة مجالس هؤلاء القوم ، حيث أصبحت الكويت -آنذاك- أحد المراكز الحساسة في الشرق الأوسط ، ومحل نظر وأطماع الدول الكبرى ، مثل: إنجلترا ، وألمانيا و، إيطاليا ، وروسيا ، حتى أوشكت تلك الدول على الاصطدام فيما بينها ، حين وقعت الحكومة الألمانية مع الحكومة العثمانية اتفاقاً لمدّ خط حديدي طويل ، من برلين مارًّا بإستانبول إلى بغداد ، وكان مقرراً أن ينتهي في الكويت .

وهو مشروع أثار قلق الإنجليز ؛ لأنه يهدِّد حرصهم على المحافظة على استمرار استعمار الهند ، ولأنهم لا يريدون أن تكون هذه الطريق البرية المهمة بيد دولة منافسة .

كما أن روسيا وضعت في الوقت ذاته مشروعاً لمدّ خط حديدي آخر يبدأ من مدينة باكو، فأصفهان ، ثم يعبر إيران إلى الخليج العربي ، ولم تكن لحكومة القيصر الطامعة في المنطقة أية رغبة في رؤية الألمان أو الإنجليز يتمركزون في الخليج العربي (١) .

وفي جانب آخر كان مما استأثر باهتمام وتأمُّل الملك عبد العزيز – وهو في الكويت – النزاع بين ابن رشيد وأمير الكويت ، ثم تدخل الإنجليز لمنع ابن رشيد من الاستيلاء على الكويت ؛ فكل ذلك كان حشداً هائلاً وحافلاً ، ومتنوعاً من التجارب ، التي اكتسبها الملك عبد العزيز في ظل المتغيرات التاريخية الحاسمة في المنطقة .

أما كونه ذا علم ؛ فذلك واضح في سيرته (فقد كان الملك عبد العزيز يأتي إلى الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ (٢) في داره ، ويحضر دروسه، ولا يخرج عن رأيه ومشورته في جميع مسائل العلم والدين)(٣) .

ويتضح في كثير من خطبه – وقد ورد بعضها في هذا البحث – سعة علمه بعلوم القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والسيرة الطاهرة ، والشعر

---

(١) انظر : عبد العزيز آل سعود سيرة بطل ومولد مملكة ، بنوا ميشان ص ٥٨ ، و : الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، خير الدين الزركلي ص ٢١ .

(٢) مفتي الديار النجدية في وقته ، وجد الملك فيصل لأمه ، عاش في المدة ١٢٦٥ – ١٣٣٩ هـ . انظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم للشيخ عبد الرحمن آل الشيخ ص ١٢٩ .

(٣) مشاهير علماء نجد وغيرهم للشيخ عبد الرحمن آل الشيخ ص ١٣٤ . وانظر: الملك عبد العزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية، للدكتور سعود بن دريب ص ٩ .

والأدب العربي من خلال استشهاداته الكثيرة بالآيات الكريمة ، والأحاديث الشريفة ، والأمثال ، والأبيات الشعرية ، وقد روي أنه نظم الشعر بنفسه .

ولضرب مثال ليكون دليلاً على علم الملك عبد العزيز بالحديث والسيرة ، وظهور أثرهما في سلوكه ؛ قوله : « إن هذه الحالة موجودة في كل زمان ومكان، فلا بد من رضاً ولا بد من غضب ، حتى إن زوجة الرسول – صلى الله عليه وسلم – كانت إذا رضيت عن زوجها قالت : وربِّ محمد ، وإذا غضبت قليلاً قالت : ورب إبراهيم ، بيد أن الحقائق واليقين تحفظ الحقيقة »[1] .

وموارد ثقافة الملك عبد العزيز العلمية متنوعة ؛ تجمع التاريخ ، والسيرة ، وعلوم القرآن ، وعلوم الحديث ، والأدب العربي نثراً وشعراً ، وغير ذلك من العلوم النافعة .

يقول ابن سحمان : « علمت من الملك عبد العزيز أنه يحفظ أجزاء من القرآن الكريم، ويحفظ الرحبية في الفرائض، وتعلَّم زاد المستقنع في الفقه، ويحفظ من كتب الحديث : الأربعين النووية ، وبلوغ المرام ، وكان يحب قراءة البداية والنهاية لابن كثير ، وتاريخ الرسل والملوك للطبري ، والسيرة لابن هشام ، والمغني ، والشرح الكبير ، والإنصاف ، وتفسير ابن كثير ، والبغوي، وكان يحب من الشعر ما تميز بالطابع الإسلامي والنصائح »[2] .

٧ – تحلِّيه بالصدق :

وخُلُق الصدق له علاقة وثيقة بالدين ، وحين يكون الحديث عن الصدق ،

---

(١) المصحف والسيف ، لمحيي الدين القابسي ص ٦٤ .

(٢) الملك عبد العزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية ، للدكتور سعود بن دريب ص ٩ .

فلا بد أن يكون المقصود هو : الصدق مع النفس أولاً ، والصدق مع الآخرين ثانياً . أي أن يكون هذا التحلي بطرفيه هو لباس الفكر والسلوك ، ويمكن القول بجزم صادق : إن هذا التحلي كان لباس الملك عبد العزيز !

وقد أدرك الملك عبد العزيز العلاقة بين الدين والصدق، فقال: « والشرف يكون بأمرين ؛ بالدين ، ثم بالصدق في الأقوال والأفعال . وأفضل شيء يقام هو : تنفيذ أوامر الله تعالى . . . »[١].

« إني والله صادقٌ فيما أقوله ، وما تكلمت به ، وقد قيل : يا رسول الله، المسلم يزني ؟ قال : يزني ، قالوا : يسرق ؟، قال : يسرق ، قالوا : يكذب؟، قال : لا . فأنا أبرأ إلى الله من الكذب ، هذه حقيقة الأمر)[٢].

وهذا الإعلان من الملك عبد العزيز ليس إلا استمداداً من نبع السنة المطهرة (قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أيكون المؤمن جباناً ؟ فقال : نعم ، فقيل له : أيكون المؤمن بخيلاً ؟ فقال : نعم ، فقيل له : أيكون المؤمن كذّاباً؟ فقال : لا)[٣] .

والصدق مع الإخلاص له ثمرة ، هي : التوفيق من الله ، يشهد بذلك المسلمون وغير المسلمين ممن تعامل معه ، يقول الدكتور (فون ويزل) : « وفي ابن سعود ميزة أخرى ، وهي أنه كريم صادق ، وقد حادثته مرتين في شؤون مختلفة ، كان بعضها دقيقاً جداً ، فلم ألحظ قط أنه يُلْبِسُ الباطلَ ثوبَ الحق ، نعم كان سياسياً أحياناً في أجوبته ، فلا يقول كل ما يعرفه ، ولكنه لم يتلفظ بكلمة واحدة غير صادقة .

---

(١) المصحف والسيف ، لمحيى الدين القابسي ص ٦٦

(٢) المصحف والسيف ، لمحيي الدين القاسي ص ٨٢

(٣) موطأ الإمام مالك ، كتاب الجامع

والظاهر أن هذا شأنه مع الجميع ، فإني لما قابلت القناصل الأجانب في جدة؛ قالوا لي : إذا قال لك ابن سعود شيئاً ؛ فثق أنه يقول لك الحقيقة ، لا تشوبها شائبة »[1] .

٨ – تحليه بالبر عملاً وقدوة :

لقد كان الملك عبد العزيز شديد البر بوالده في عمله ، وكان قدوة لبنيه في سلوكه ، يقول عنه محمد أسد[2] :

« كان يحب أباه ، كما لم يحب إلا القلائل آباءهم . . . حتى إنه لم يسمح لنفسه مطلقاً ، ولم يكن يرضى بأن يطأ أرض غرفة من غرف القصر ، إذا كان عبد الرحمن في الغرفة التي تحتها ، وكان يقول : كيف أستطيع أن أسمح لنفسي بأن أمشي فوق رأس أبي ؟

وكان لا يجلس مطلقاً في حضرة الشيخ إلا إذا دعاه إلى ذلك علانية . . . »[3] .

وبعد أن استتب الأمر ، وتمَّ فتح الرياض ، واستعاد عبد العزيز ملك آبائه ؛ لم ينسَ في غمرة الفرح والانتصار ، أن يدعو والده المقيم في الكويت مع أهله؛ للرجوع إلى الوطن ، وخرج الملك عبد العزيز إلى خارج أسوار الرياض مع خمسمائة فارس مدججين بالسلاح لاستقبال والده ومن معه ؛ مبالغة في الحفاوة به .

---

(١) المصحف والسيف ، لمحيي الدين القاسمي ص ٣٢ .

(٢) مستشرق فرنسي ، كان اسمه « ليوبلد فايس » ، فأسلم وسمى نفسه « محمد أسد » ، له كتاب : الإسلام على مفترق الطرق ، ترجمه إلى العربية د. عمر فروخ ، انظر : قالوا عن الإسلام د.عماد الدين خليل ص ٧٧ .

(٣) انظر الملك عبد العزيز ، رؤية عالمية ، للدكتور ساعد العرابي الحارثي ص ١٤٨

ولم ينتهِ برُّ عبد العزيز بأبيه عند هذا الحد ، بل دعاه إلى تسلُّم الحكم ، معلناً تنازله لأبيه عن كل شيء ، وإن كان المُلك الذي سطَّر لأجله ملحمة لاتنسى ، ولكنَّ الأب الحكيم دعا إلى محفل مشهود بعد صلاة الجمعة ، وأعلن تنازله عن الحكم لنجله عبد العزيز !

« وحسبنا أن نشير إلى أنه – عبد العزيز – حمل والده الإمام عبد الرحمن رحمهما الله جميعاً ، ذات يوم في المسجد الحرام بمكة المكرمة من باب السلام إلى مصلاه بداخل الحرم ؛ حمله على كتفيه أمام الملأ من الناس ، حينما بلغت الشيخوخة بالإمام عبد الرحمن إلى العجز عن السير ، ورفض أن يقوم الخدم أو الحرس بذلك »[1] .

وفي ضوء هذه التربية كان الملك عبد العزيز أسوة حسنة ؛ اقتدى بها بنوه من بعده .

٩ - طريقته في الخطابة :

للملك عبد العزيز خصائص مميزة عندما يتكلم أو يخطب ، حَرِيٌّ بها أن تُدَرَّس في الكتب المدرسية ، وأن يترسم خطاها الخطباء .

كتب (ناصر الدين دينيه)[2] الكاتب الفرنسي المسلم ، في كتابه (الحج إلى بيت الله الحرام) الذي صدر في العام ١٣٤٨هـ عن الملك عبدالعزيز :

---

(١) الملك عبد العزيز سيرة لا تاريخ ، لفؤاد شاكر ص ٣٩.

(٢) إيتيين دينيه ، مستشرق فرنسي ، عاش بين ١٨٦١ - ١٩٢٩ م ، أشهر إسلامه عام ١٩٢٧م وحج عام ١٩٢٨م ، وكان يقضي معظم وقته في الجزائر انظر : قالوا عن الإسلام ، للدكتور عماد الدين خليل ص ٦٣ .

« وابتدأ خطابه بإلقاء طبيعي سهل ، كان خالياً من تلك الإشارات التمثيلية، سالماً من تلك الحركات المتكلفة الركيكة ، وتلك الأصوات المزعجة، فالرزانة والرجولة الكاملة، والاعتداد بالنفس ، كلها كانت تتفجر في خطبته ، ومن العجيب ألاَّ يفارق حالته العادية وهدوءه المعتاد حتى في ذلك الوقت الذي يبحث فيه أخطر المسائل وأهمها .

ولم نرَ منه إشارة سوى ضم سبابتيه حينما يتكلم عن الاتحاد ، وتفريقهما حين يتكلم عن التفرق ، ورغم هذا كله فقد كنا نحس بأن وراء هذا الهدوء وهذه البساطة وهذه الرزانة حزماً وعزماً وبطولة فذة يختص بها »[1].

من الأوصاف التي قالها معاصرو الملك عبد العزيز في وصف منطقه؛ أن عقله كان يسبق لسانه ، وأنه ينسى العاطفة أمام المنطق ، ولا يقول إلا مايعتقد، ينطلق عن سجيته ، غير متأنق ولا متكلف .

يفيض بما تمليه عليه ذاكرته من عظات ؛ يستمدها أو يستمد معاني أكثرها من آيات كتاب الله ومن الحديث النبوي ، ويأتي بالشواهد ، وقد يأتي بالبيت من الشعر أو بالشطر يَرِدُ في كلامه عَرَضاً؛ لا على أنه قول ينشد ولكن على أنه كلام محكم يورد .

يتكلم هادئاً ، متمهلاً ، تتخلل قوله ابتسامة خفيفة تجتذب إليه قلوب سامعيه ، وإن لم تكن الابتسامة فليس هناك عُبُوس ولا تجهُّم ، لا يتلكأ ، ولا يتلعثم ، ولا يتمتم ، ولا يجمجم ، له انطلاق فسيح

---

(١) المصحف والسيف ، لمحيي الدين القاسي ص ٣٣ .

في مجال القول ، يورد خلاله شواهد حية من أحداث عرفها السامعون أو أدركوا من عرفها[١] .

فذلك بعض ما نقله من عاش في عصر الملك عبد العزيز عن خصائصه الخطابية ، وخطبه لا تزال حية بتلك الخصائص وغيرها .

١٠ – تواضعـــــه :

الملك عبد العزيز ، رغم ما أنجز ، يرى نفسه فرداً عادياً ، لازمه توفيق الله، يذكر فؤاد شاكر[٢] – وهو من ملازمي الملك عبد العزيز ، وممن يقدم له ضيوفه وزواره – أن الملك عبد العزيز كان حريصاً على استقبال أكبر عدد منهم، وحريصاً على إنزالهم منازلهم من العناية والتكريم والحفاوة ، وكان يبدأ حديثه مع زائريه بما يتطلبه الموقف من ترحيب وتكريم أولاً ، ثم يتناول ما يتطلبه المجال من أحاديث خاصة وأحاديث عامة .

وكان يكره الإسراف في المديح ، وكثيراً ما يقف الشعراء بين يدي جلالته ، منشدين الشعر في مدحه والثناء عليه ، فيصغي إلى ما يكون مقبولاً ومعقولاً، أما ما زاد عن ذلك فتراه يتململ في مجلسه ، ولا يصغي إليه ، أو يصححه ، ويضرب فؤاد شاكر لذلك مثلاً بنفسه ، حين أنشد الملك قائلاً :

انهض إلى البيت وارفع فوقه العلما   واسأل هنالك عمن أمَّنَ الحرما

فقاطعه الملك ، وأجابه على الفور : إنه الله سبحانه وتعالى .

---

(١) انظر . المصحف والسيف ، لمحيي الدين القابسي ص ٣٤

(٢) انظر الملك عبد العزيز ، سيرة لا تاريخ ، لفؤاد شاكر ، مقتطفات من الصفحات ٥١ – ٦٠

المبحث الثاني

تسخير الملك عبد العزيز حياته ونفوذه

في خدمة الإسلام

أولا - تسخير الملك عبد العزيز حياته في خدمة الإسلام :

منذ أن كان الملك عبد العزيز طفلاً صغيراً في بيت والده، وهو يرضع حب الإسلام ويهيء نفسه لخدمته؛ فقد كان والده الإمام عبد الرحمن مشهوراً بالتقى والزهد والورع ، وكان يربي أولاده على هذه الخصال الكريمة .

« كان الإمام عبد الرحمن رجلاً ممعناً في الزهد ، متعبداً ، رقيق الحاشية ، ومع ذلك فإن رغبة مكبوتة كانت تعتمل في نفسه : توطيد قوة الأسرة ، ونشر الدعوة في الربوع العربية كلِّها ، وعلى هذا الأساس كان يهيء عبد العزيز . . . »[١] .

وعندما آل الحكم إلى عبد العزيز كان نشر الإسلام وخدمته من أول الضرورات ، وأهم المهمات عنده .

قال عنه أحد مخالطيه : « كان – رحمه الله – داعية إسلامياً ، وواعظاً دينياً ، ومصلحاً اجتماعياً ، وإماماً للمسلمين ، ولم يكن جلالته يدعي لنفسه واحدة من هذه الصفات، وإنما تلك سجية نفسه ، وواقع أمره . وإنما الصفة الوحيدة التي كان يعتز بها كل الاعتزاز هي : خدمة الإسلام ، والدعوة له . . . »[٢].

ويمكن تبيُّن ملامح تسخير الملك عبد العزيز حياته في خدمة الإسلام من خلال المحاور التالية :

---

(١) عبد العزيز آل سعود؛ سيرة بطل ومولد مملكة، بنوا ميشان، نقله للعربية عبد الفتاح ياسين ص ٤٥

(٢) الملك عبد العزيز ؛ سيرة لا تاريخ ، فؤاد شاكر ، ص ٨٤ .

١ - الحرص على سلامة العقيدة :

لقد كان الملك عبد العزيز حريصاً على سلامة عقيدته ، وسلامة عقيدة رعاياه ، وكان يرى ذلك واجباً دينياً ، تقتضيه المصلحة الشخصية له ولهم ، وتتطلبه المصلحة العامة للوطن والأمة .

لقد جاء حرص الملك عبد العزيز على سلامة العقيدة في عدة صور ، يأخذ بعضها برقاب بعض في تناسق تام ؛ يدل على نفاذ بصيرته وبعد نظره، وأهم تلك الصور :

الصورة الأولى : الاهتمام بالأساس المتين :

لقد وصمت دعوة الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بما يسمى : « الوهابية »، وصار من المعتاد أن يطلِق كثيرٌ من الجاهلين والحاقدين على الدولة السعودية وحكامها ما يسمى : « الوهابيون » في محاولة لصرف أذهان الناس إلى أنها نحلة جديدة، جاءت على خلاف ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم، والصحابة الكرام؛ وذلك بقصد محاربتها وأهلها .

يقول المستشرق (رينهارت دوزي)[1] في كتابه : (تاريخ مسلمي أسبانيا) :

« إن الوهابيين - يقصد أتباع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - في زماننا هذا، سنة ١٨٦١م - التحديد منه - هم الطائفة المتزمتة[2]،

---

(١) مستشرق هولندي عاش في المدة بين ١٨٢٠ - ١٨٨٣م ، معظم إنتاجه في الأندلسيات . انظر : « مستشرقون » لنذير حمدان ص ٥٩ .

(٢) المتزمت في اللغة العربية : هو الوقور . يقال : (رجل متزمِّت، وزمِّيت ، وفيه زماتة : إذا توقّر في مجلسه . وفي صفة النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه من أزمتهم في المجلس أي : أرزنهم وأوقرهم) انظر : لسان العرب لابن منظور بترتيب الخياط ٢ / ٤٣ . ولكن المستشرق لا يقصد هذا المعنى ، وإنما يقصد التشدد الزائد عن حده .

الصـارمة التي تحرِّم جـمـيع ما دنس الإسـلام على مـرّ الزمن من مظاهر الترف والخرافات، والتي اتخذت شعارها: القرآن، ولا شيء سوى القرآن، كما اتخذ (لوثير) [1] شعاره : الإنجيل ، ولا شيء سوى الإنجيل »[2].

فلم يفت عبقرية عبد العزيز تصحيح هذا الفهم في أذهان الناس، وفضح ذاك الغرض الذي قصده المغرضون، فكان تأكيد الملك عبد العزيز على حقيقة الدعوة ، كما أوضحه علماؤها .

وفي ذلك يقول : « يسمـوننا : الوهابيين ، ويسمـون مذهبنا : الوهابي ؛ باعتبار أنه مذهب خاص ، وهذا خطأ فاحش ، نشأ عن الدعايات الكاذبة ، التي كان يبثها أهل الأغراض .

نحن لسنا أصحاب مذهب جديد ، أو عقيدة جديدة ، ولم يأتِ محمد بن عبد الوهاب بالجديد، فعقيدتنا هي عقيدة السلف الصالح، التي جاءت في كتاب الله، وسنة رسوله، وما كان عليه السلف الصالح.

ونحن نحترم الأئمة الأربعة ، ولا فرق عندنا بين مالك، والشافعي، وأحمد ، وأبي حنيفة ، كلُّهم محترمون في نظرنا »[3] .

لقد أدرك الملك عبد العزيز أن سلامة الأساس ضرورة لسلامة البنيان ، والبنيان المتين لا تستطيع المعاول أن تنال منه ، إلا إذا وجدت فيه ثغرة ضعيفة ؛ فحرص على أن يقوي أساس بنيانه .

---

(١) مارتن لوثير : راهب نصراني ، ولد عام ١٣٨٣ م ، كان متعصباً ، يؤمن بأهمية العصا في تقويم الأخلاق انظر . قصة الحضارة لديورانت ٢٤/ ٩ .

(٢) تاريخ مسلمي أسبانيا ، لدوزي ، ترجمة د. حسن حبشي ص ٣٣ .

(٣) المصحف والسيف ، محيي الدين القابسي ص ٥٢ .

الصورة الثانية : محاربة البدع والخرافات :

قد لا يتبين القارئ اليوم مدى الشجاعة التي تحلَّى بها الملك عبدالعزيز في محاربة البدع ، وقد يقصر تفكيره عن تصور ما تكبده في سبيل الدفاع عن هذا المبدأ العقدي؛ إلا إذا كان هذا القارئ عارفاً بالظروف الاجتماعية ، والسياسية ، التي كانت سائدة ذلك الوقت.

وما موقف الملك عبد العزيز من بدعة « المحمل » وما تحمَّلَه من جهد في سبيل معالجتها ، وحلٍّ مشكلتها ؛ إلا دليل وبرهان على شجاعة هذا الرجل في الحرص على سلامة العقيدة، حتى كاد أن يدفع حياته ثمناً لثباته على مبدئه(١).

وهو يكرر القول ، مؤكداً على سلامة العقيدة من البدع ، والانحرافات ، والخرافات ، فيقول : « هذه هي العقيدة التي قام شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب يدعو إليها، وهذه هي عقيدتنا، وهي عقيدة مبنية على توحيد الله عز وجل ، خالصةً من كل شائبة ، منزهةً من كل بدعة ، فعقيدة التوحيد هذه هي التي ندعو إليها، وهي التي تنجينا مما نحن فيه من محن وأوصاب »(٢).

من السهل بعد هذا القيل أن يقال : إن الملك عبد العزيز كان ينظر إلى هذا الأساس الراسخ من العقيدة نظرة ثاقبة ، يقوم بنيانها على الوجوب الشرعي والضرورة الدنيوية ، وليست الحاجة فحسب . ولذا

---

(١) انظر تفصيل ذلك في كتاب : الملك عبد العزيز؛ سيرة بطل ومولد مملكة ، بنوا ميشان ، تعريب عبد الفتاح ياسين ص ٢٠٢ وما بعدها ، وانظر : الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز لخير الدين الزركلي ص ١٢٦ ، وشبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز لخير الدين الزركلي ٢/٦٦٣-٦٦٥ .

(٢) المصحف والسيف ، محيي الدين القاسي ص ٥٣

فهو يقرر – صادقاً مخلصاً – أن سلامة العقيدة هي المنجي من المحن والأوصاب !

الصورة الثانية : نشر الكتب الدينية :

ألّف الملك عبد العزيز كتاب : الورد المصطفى المختار، وغيره ، وكانت له جهود كبيرة في نشر كثير من أمهات الكتب الدينية ، ذكر المؤرخون كثيراً منها، وعرض الدكتور فهد السماري وثائق تلك الإصدارات ، وعليها أمر الملك بطبعها على نفقته [١].

وأشار الملك عبد العزيز بنفسه إلى بعض هذه الكتب في المقابلة مع رئيس تحرير « مجلة الكويت » المنشورة في جزئها الأول ، الصادر شهر شوال عام ١٣٤٨هـ فقال الملك عبد العزيز : « إن أمثال هذه الكتب الدينية من المؤلفات الجليلة ، التي عرفتُ أهميتها ، وكنت من أمد بعيد حريصاً على طبعها؛ لينتفع بما فيها من فوائد غزيرة ، كان جلُّها محجوباً عن الأبصار ، وليسهل اقتناؤها على المعدمين ، ولا سيما المغني، الذي لم يطبع قبل هذه المرة، وقد عثرنا على نسخة كاملة منه، فبعثنا بها ، وبتفسير ابن كثير ، ومؤلفات أخرى غيرها إلى السيد رشيد رضا في مصر ، وبلغنا أنه تمَّ طبعها ، وكذا بعثنا إليه أيضاً بكتاب في الآداب ليطبعه »[٢].

٢ – تقوية الخاص الثقافي :

ليس من الغريب على من درس عبقرية عبد العزيز أن يرى هذا

---

(١) انظر تفصيل ذلك في كتاب : مكتبة الملك عبد العزيز آل سعود الخاصة ، للدكتور . فهد بن عبدالله السماري ص ١٩ ، وما بعدها.

(٢) انظر مجلة الفيصل العدد ٢٣٩ جمادى الأولى ١٤١٧ هـ ص ٧٨ .

الملك الفذ قد فطن إلى خطر الجنود من أبناء الإسلام في صورة منصفين، مموهين للحقائق ، وما هم سوى تكرار لمن جنَّدوهم للهجوم على الإسلام، فبادر إلى فضح كيد الممالئين لأصحاب الدعوات الوافدة، المخالفة لجوهر الإسلام وأصوله الثابتة .

فقال : « إن المسلمين متفرقون اليوم طرائق؛ بسبب إهمالهم العمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . ومن خطل الرأي الذهاب إلى أن الأجانب هم سبب هذه التفرقة ؛ وهذه المصائب . إن سبب بلايانا من أنفسنا ، لا من الأجانب .

يأتي الأجنبي إلى بلد « ما » فيه مئات الألوف ، بل الملايين من المسلمين ، فيعمل عمله بمفرده ، فهل يعقل أن فرداً في مقدوره أن يؤثر على ملايين من الناس ، إذا لم يكن له من هذه الملايين أعوان يساعدونه ويمدونه بآرائهم وأعمالهم ؟!

كلا ، ثم كلا . فهؤلاء الأعوان هم سبب بليَّتنا ومصيبتنا . أجل، إن هؤلاء الأعوان هم أعداء الله وأعداء أنفسهم »[1].

وليس عسيراً بعد هذه الفطنة من عبد العزيز لما يحاك ضد دينه ودولته ؛ أن يسعى إلى تقوية الخاص الثقافي ، لأبناء وطنه وأمته .

يقول : « إن هذا الاجتماع للتعارف كما قلت ، ورابطة الإسلام هي خير واسطة للتآلف والتعارف . فالواجب علينا أن نتمسك به ، وأن نعمل بما أمرنا به ؛ لننال الفوز في الدنيا والآخرة .

---

(١) المصحف والسيف ، لمحيي الدين القاسي ص ٥٤ .

يقـولون : الحـرية ، ويدعي البـعض أنهـا من وضع الأوربيين . والحقيقة أن القرآن الكريم قد جاء بالحرية التامة ، الكافلة لحقوق الناس جميعاً ، وجاء بالإخاء والمساواة المطلقة التي لم تحلم بها أمة من الأمم ، فآخى بين الصغير والكبير، والقوي والضعيف ، والغني والفقير، وساوى بينهم »[1].

عندما رأى الملك عبد العزيز أن الحضارة والمدنية قادمة إلى مجتمعه بنفعها وبزبدها ؛ آثر أن يقوي الخاص الثقافي ، المبني على أسس عقدية لا تراجع عنها ، والمنطلق من ثوابت لا يصح تجاهلها في ذلك المجتمع ، مع الأخذ بما ينفع من أسباب المدنية مما لا يتعارض مع شرع الله .

« وكان مما اهتم له الملك عبد العزيز ؛ ربط المناطق بعضها ببعض ، ثم ربط المملكة كلها ، بشبكة لاسلكية ، أفادته كثيراً في حروبه ، وكانت معواناً على حفظ الأمن، فأمر بإنشاء مدارس لتعليم أعمال الهاتف اللاسلكي في المملكة، وأرسل بعض خريجيها في بعثات إلى الخارج ، وأصبح مدرسو اللاسلكي في المملكة سعوديين كلهم ، وأعمال المراكز في أيدي السعوديين »[2].

ثانيا - تسخير الملك عبد العزيز نفوذه لخدمة الإسلام :

لم يبخل الملك عبد العزيز بجاهه ونفوذه في خدمة الإسلام ؛ لأنه

---

(١) المصحف والسيف ، لمحيي الدين القابسي ص ٦١ .

(٢) الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، لخير الدين الزركلي ص ٩٩ .

سخَّر حياته لهذا الهدف النبيل ، محتسباً الأجر من الله تعالى وحده ، دون مِنَّة على أحد .

والشواهد على تسخير الملك عبد العزيز نفوذه لخدمة الإسلام والمسلمين كثيرة ، بيد أنني سأذكر بعضاً من أهمها :

١ - استثمار نفوذه لنشر العلم :

في سعيه الحثيث لنشر الكتب الدينية [١] ، كان يعلم أن بعض أمهات الكتب الإسلامية موجودة في مكتبات أوربا ، والشرق ، فبادر إلى إعلان عزمه على الإفادة من نفوذه في العالم ، لتيسير أمر طباعة هذه الكتب بعد جلبها من مصادرها ، وتخصيص طالب علم لهذا الهدف ، مع تزويده بالتوصيات اللازمة - أي : التي تستمد قوتها من نفوذ الملك عبد العزيز السياسي في العالم - ، مما يسهل مهمته .

تحدث الملك عبد العزيز عن هذا الموضوع في مقابلة له مع رئيس تحرير مجلة الكويت فقال : « ولشيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من علماء الإسلام مؤلفات مهمة ، لم نقف عليها إلى هذا اليوم ، ونحن في أشد الحاجة إليها وإلى نشرها ؛ لينتفع الناس بها ، ومن المحتمل أنها توجد في مكتبات أوروبا ، إذا لم توجد في مكتبات الشرق ، وفي العزم إرسال شخص من أهل العلم والمعرفة إلى أوروبا ليبحث عما يهم ، وسنصحبه بتوصيات تسهِّل عليه مهمته »[٢] .

---

(١) انظر : شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، لخير الدين الزركلي ٣/١٠٢٩ .

(٢) مقابلة رئيس تحرير « مجلة الكويت » مع الملك عبد العزيز ، شوال ١٣٤٨ هـ انظر مجلة الفيصل العدد ٢٣٩ جمادى الأولى ١٤١٧هـ ص ٧٨ .

٢ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

تربية الملك عبدالعزيز الدينية هَدْته إلى أن العقيدة السليمة لابد أن يحرسها مبدأ «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» بضوابطه الشرعية، وهو يعلم «أن الله لَيَزَعُ بالسلطان مالا يَزَعُ بالقرآن» [١]، وأنه لابد أن يستخدم نفوذه وتمكينه في الأرض؛ لتحقيق شعيرة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

يبيِّن الملك عبد العزيز وعيه بهذه الحقيقة الجلية فيقول : «فإذا لم نحرم ما حرم الله كانت نقمة الله علينا عظيمة ، ثم كان هنالك كذب على الله ؛ لذلك يجب أن ننظر في مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ تنفيذاً لأمر الله ، وحفظاً له ، ويجب النظر في الأمور التي تمادى البعض فيها ، وما هي إلا لهوٌ ودُنُوٌّ إلى الشر وبُعْدٌ عن الخير .

يجب أن ننظف أنفسنا من الأدران، ونطهرها من كل الأمور المختلفة، وأن ندنو إلى ما يرضيه، ونخاف عقوبته؛ إذ ليس هناك عقوبة أشد من عقوبة الدين ، إذا وقع الشر في القلوب خربها . وهذه البلاد يجب أن تكون قدوة صالحة للمسلمين في كل عمل من أعمالها »[٢] .

ولابد من الإشارة إلى أن الملك عبدالعزيز في أمره بالمعروف، ونهيه عن المنكر؛ كان يسير في ضوء هدي الكتاب والسنة باحثاً عن سلامة العقيدة وحافظاً مصلحة الأمة مطبِّقاً مناهج الدعوة ووسائلها وأساليبها بوعي وبحزم.

---

(١) نسبه البرهان فوري في كتابه « كنز العمال » إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بلفظ. « والله ما يزع الله بسلطان أعظم مما يزع بالقرآن » - كتاب الخلافة والإمارة ، الباب الثاني ٥ / ٧٥١ ، نشر مؤسسة الرسالة - وقال ابن منظور في اللسان : « وفي الحديث : من يزع السلطانُ أكثر ممن يزع القرآنُ » . انظر : مادة وزع .

(٢) المصحف والسيف ، لمحيي الدين القابسي ص ٦٦

يشهد لذلك أنه التزم بمبدأ التدرج – وهو منهج من مناهج دعوة النبي صلى الله عليه وسلم – [١]، فلم يستجب للمطالبات المستعجلة بإزالة بعض البدع المستشرية في البلاد التي خضعت لنفوذه حديثاً ؛ لتقديره الصائب أن ذلك سيُحدِث ضرراً أكبر ، وسيحدث فرقة بين المسلمين ونفوراً ؛ فآثر التريث ، وأخذ الأمور بمنهج التدرج .

«عندما بايع الشعب الحجازي عبد العزيز بالملك كانت الحياة الاجتماعية ومفاهيمها فيه مختلفة عن الحياة الاجتماعية ومفاهيمها في نجد ... وعالج الملك عبد العزيز المشكلة معالجة القائد المسلم المؤمن مفتوحِ الذهن .

فأرسل فرق الإخوان بعيداً عن مكة والمدينة وجدة ، مدن الحجاز الرئيسة الثلاث ؛ لتُتِمَّ واجب الجهاد في تحرير ميناءي ينبع والوجه الحجازيين ، وضمِّهما للدولة الجديدة ، حتى إذا انتهت من مهمتها هذه كلَّفها بمهمات عسكرية أخرى في الأقاليم الشمالية »[٢] .

وحين وجد الأمور قد استتبت لجأ إلى الحوار العلمي – وهو منهج آخر – حتى تستبين سبيل الحق ، يشهد لذلك أن الملك عبدالعزيز عندما دخل الحجاز في ملكه ، ووجد بعض العادات الباطلة الموروثة من السابقين ، والتي ينكرها بعقيدته الصافية ، دعا إلى اجتماع بين علماء نجد وعلماء مكة المكرمة .

---

(١) انظر . كتاب « التدرج في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم » ، لإبراهيم بن عبد الله المطلق .

(١) معجزة فوق الرمال ، أحمد عسه ص ١٠٣ .

«وفي يوم ١١ من جمادى الأولى سنة ١٣٤٣ هـ اجتمع خمسة عشر عالماً من علماء مكة بسبعة من علماء نجد ، وفَاقَهَ علماءُ مكة علماءَ نجد ، وأصدر علماء مكة بياناً ، جاء فيه : قد حصل الاتفاق بيننا، وبين علماء نجد في مسائل أصولية ، منها :

– أنّ من جعل بينه وبين الله وسائط من خلقه ، يدعوهم ، ويرجوهم في جلب نفع ، أو دفع ضر ؛ فهو كافر ، حلال الدم والمال .

– وأن البناء على القبور ، واتخاذ السرج عليها ، وإقامة الصلاة فيها بدعة محرمة في الشريعة الإسلامية .

– وأن من سأل الله بجاه أحد من خلقه فهو مبتدع مرتكب محرماً»[١] .

وهكذا استطاع الملك عبد العزيز بحكمته وحنكته تحقيق سيادة شرع الله بمنهجٍ حكيم .

٣ – إيواء المسلمين في بلاده :

عُرِفَ عن الملك عبد العزيز أنه كان يستضيف – دون مِنَّة – كثيراً من العرب والمسلمين، الذين حوربوا أو أوذوا ؛ فكان الملك عبد العزيز نعم النصير، ونعم المعين لهم[٢] .

---

(١) الملك عبد العزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية ، للدكتور سعود بن دريب ص ٢٢ .

(٢) انظر : الملك الراشد ، لعبد المنعم الغلامي ص ٣٩١ .

«كان رشيد عالي الكيلاني[1] ، قد أخفق في ثورته على بريطانيا ، إبان الحرب العالمية الثانية ، فاضطر إلى الهرب من العراق ، ثم لجأ آخر الأمر إلى الملك عبد العزيز، وطالبت الحكومة العراقية بتسليم رشيد عالي الكيلاني، وكان جواب عبد العزيز ذا جانبين ، وكل جانب مقنع .

فمن الناحية السياسية كان جوابه للعراق : إن المعاهدة التي بينه وبين الحكومة العراقية ، تقضي بتسليم اللاجىء إذا كان مجرماً بحق الوطن ، أما إن كان مواطناً كرشيد عالي الكيلاني الذي كان رئيس الحكومة ، قام بعمل ضد حكومة أجنبية ؛ كالحكومة البريطانية ، فإنه يكون مجرماً في نظر الحكومة البريطانية ، وليس مجرماً بحق العراق .

وأما جوابه من ناحية العرف والتقاليد العربية فقد كان صريحاً ، وصارماً، قال : ... لكم أن تطالبوني بتسليم من تشاؤون من أبنائي ، وعليّ أن أجيب طلبكم فوراً ، أما أن أسلم من استجار بي فهذا هو المستحيل تنفيذه، ما دام فيَّ عرقٌ ينبض بالحياة »[2] .

كما ذكر المؤرخون [3] والسياسيون أن الملك عبد العزيز كان يتدخل مستخدماً ثقله السياسي ونفوذه لدى الدول الأخرى ؛ لنصرة المسلمين هناك ، ورفع المحن عنهم .

---

(١) انظر قصة لجوئه إلى الملك عبد العزيز كاملة في كتاب : تاريخ الدولة السعودية ، لأمين سعيد ٢/٤٦٧ .

(٢) انظر : صور من حياة عبد العزيز ، للأمير طلال بن عبد العزيز ص ٨٧

(٣) انظر – مثلاً – : « الملك عبد العزيز ، سيرة لا تاريخ » لفؤاد شاكر ص ٨٠ ، و « رحل وأمة » لعبدالكريم المصلوحي ص ٥٣ .

المبحث الثالث

منهج الملك عبد العزيز في مخاطبة الناس بحسب أحوالهم

أولاً - أصناف الناس في عصر الملك عبد العزيز :

التطورات السياسية المتلونة التي شهدها عصر الملك عبد العزيز ، وما فيها من حروب وانتصارات وتقهقر أحياناً للسعوديين ولأخصامهم، يضاف إلى ذلك حساب النفوذ العربي والدولي آنذاك؛ هذه الأطوار جعلت الناس في نظرتهم إلى الملك عبد العزيز ، وفي أمانيهم نحوه، وفي تطلعاتهم منه وله، ينقسمون إلى أصناف متعددة. وهم كذلك في نظرة الملك عبدالعزيز إليهم ، وفي تعامله معهم .

ثانيا - ركائز منهج الملك عبد العزيز في التعامل مع الناس :

لا بد من الإشارة إلى الركائز الأساس في نظرة الملك عبد العزيز إلى الناس ، وفي تعامله معهم ؛ لأنها نظرة تراعي كرامة الإنسان ، مهما كانت حاله ، وأهم تلك الركائز :

١ - النظرة الإنسانية الرائدة :

يقول الملك عبد العزيز مصرحاً بهذه النظرة : « والله – يا أهل هذا البلد الطاهر المقدس – إني أرى الكبير فيكم كأبي، والوسط كأخي ، والصغير كابني ، وإن الذي أقوله هو الذي أعتقده ، والله على ما أقول شهيد » [1] .

فبهذه النظرة الإنسانية ساد الملك عبد العزيز ، وبها استجلب حب رعيته، وحظي بإخلاصهم، وحَفَزَ هممهم، حتى أعز الله به وبهم الإسلام.

---

(١) المصحف والسيف ، لمحيي الدين القابسي ص ٧١ .

وإحقاقاً للحق ، فإن هذه النظرة قد يراها المرء اليوم أساساً في المعاملة بين الحاكم والمحكوم ؛ لأنه يعيش في ظلها في هذه البلاد الطاهرة ، ولكن لا بد من التأكيد على أن الوضع كان مختلفاً جداً في عصر الملك عبد العزيز ، في ظل الظلم والاستبداد والقهر والاستكبار، ونحو ذلك من الصفات التي اعتادها الناس من حكام ذلك العصر ، قبل أن يرتقي الملك عبد العزيز سدة حكم هذه البلاد ، وبأطرافها الشاسعة ، مع ما بذله ورفاقه من تضحيات بالنفوس وبالنفيس من أجل إعلاء كلمة الله ونصر دينه .

٢ - التعامل مع الناس بحسب أحوالهم :

للملك عبد العزيز نظرة نافذة في تعامله مع الناس ، تقوم على قواعد شرعية وإنسانية في آداب المعاملة ، فلا يُؤخَذ أحد بجريرة أحد، ولا يُحاسَب جاهلٌ حتي يُعَلَّم ، ولا يُتْرَك معاندٌ كي يعيث في الأرض فساداً ، دون عقاب .

نظرة الملك عبد العزيز تلك تقوم على أساس أن الرفق واللين هما الأساس، وأن الشدة والحزم والعزم ، حين يبرز موجبها ضرورة ، والنكول عنها في وقتها هو الخذلان المبين .

الناس في نظر الملك عبد العزيز ثلاثة ؛ بل أربعة ، ولكل واحد منهم الخطاب الذي يناسب حاله .

يقول : « الناس معنا ثلاثة : إما محب ومساعد ، وإما لا محب ولا مساعد ، وإما معاند فقط . فأما الأول فله ما لنا ، وعليه ما علينا .

وأما الثاني ، فنسعى جهدنا في إفهامه الطريق الذي نسير عليه ، فإذا اتبعنا فالحمد لله ، وإذا أبى : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾[1] .

وأما الثالث ؛ فهذا ليس له قصد إلا الفساد في الأرض ، وهذا جزاؤه في الآية الشريفة : ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾[2][3] » .

هؤلاء ثلاثة أصناف ، ذكرهم الملك عبد العزيز بلسانه ، أما الرابع فهو المحب الذي لا يساعد ، وقد ذكره الملك عبد العزيز بفعله ، حيث كان تعامله مع هذا الصنف من الناس ، يعدُّ صورة من صور المروءة والكرم والشهامة ونبل الفارس .

يدنيك من قطف ثمار هذه الصورة النبيلة تلك القصة التي رواها سمو الأمير طلال بن عبد العزيز عن محاورة بين والده وبين بدوي في الصحراء ، قال الملك عبد العزيز لذلك البدوي : « هل رأيت موكب عبد العزيز من قبل ؟، قال ، وهو لا يدري مَن محدثه : نعم ! ، ثم سأله أيضاً : أتحب عبد العزيز أم تكرهه؟ ورغم أن السؤال كان مفاجئاً، ومحرجاً ، غير أن البدوي لم يرتبك ، وقال : أنا لا أحبه ، ولا أكرهه .

---

(١) سورة القصص آية . ٥٦ .

(٢) سورة المائدة آية . ٣٣ .

(٣) المصحف والسيف ، لمحيي الدين القابسي ص ٧٢ .

قال له وهو يحاوره : ولماذا ؟ ، قال البدوي : أنا لا أحبه ؛ لأنه لو لم يكن حاكماً لكنتم ومتاعكم وهذه السيارة وجميع ما فيها نهباً لنا . فرد عليه : هذا جواب معقول، ولمَ لا تكرهه؟ قال: لأنه جاءنا وجاءكم بالعافية والأمن والسلام .

وما كاد الوالد - رحمه الله - يسمع ما قال ذلك البدوي حتى أضاءت أسارير وجهه ، والتفت إلى من حوله ، وقال : صدق عَزَّ الله ، بَيَّضَ الله وجهه، وأنا والله سعيد ببغضه ، الذي صدق في بيان أسبابه، وسعيد من حبه ، الذي صدق في ذكر أسبابه أيضاً »[1].

وفي موضع آخر قَسَّم الملك عبد العزيز الناس إلى : شامت، وناقم، ومحب، وناصح ، وترك بيان موقفه منهم إلى ما عُرِفَ من فعله الكريم ومروءته المشهودة .

وقَسَّمَهَم في موضع آخر إلى ثلاثة أقسام ؛ بحسب موقفهم من الحق ، وأبان عن موقفه من كل واحد منهم ، فقال : « الناس في رأيي ثلاثة : واحد منهم من أهل الحق ، وهذا أساويه بنفسي، وأفاديه بها. وثانيهم من أهل الخير والشر ، وهذا أدعو له بأن الله يعلي خيره على شره ، ويكفينا شره . والثالث من أهل الشر، والعياذ بالله ، وهذا أسأل الله له الهداية ، وأن يجنبه وغيره شر نفسه ، ويرشده إلى الصواب »[2] .

---

(١) صورة من حياة عبد العزيز ، للأمير طلال بن عبد العزيز ص ٩٨ .

(٢) الملك عبد العزيز ، سيرة لا تاريخ ، فؤاد شاكر ص ١٢٨ .

وقسَّمهم إلى أربعة أقسام من حيث الصدق والكذب ؛ هم : الصريح ، والكاذب ، وذو الهوى ، والمتملِّق ، فقال : « أريد الصراحة في القول ؛ لأن ثلاثة أكرههم ولا أقبلهم : رجل كذاب ، يكذب عليَّ عن عمد ، ورجل ذو هوى ، ورجل متملق ؛ فهؤلاء أبغض الناس عندي »[1] .

٣ - القرب والبعد من الناس يضبطه معيار دقيق :

المتأمل في سيرة الملك عبد العزيز وتاريخه سيجد أن المعيار الدقيق في تعامله مع الناس ، وقربه أو بعده منهم ، هو : سيادة شرع الله .

يقول الملك عبد العزيز مبيناً ملامح هذا المعيار : « إن الذي دعاني لجمعكم في هذا المكان هو النصح لكم ؛ حتى لا يغتر السفيه بالحلم ، ولا يسترسل في غوايته ، وأحذركم من أمرين :

الأول : الإلحاد في الدين ، والخروج عن الإسلام في هذه البلاد المقدسة ، فوالله لا أتساهل في هذا الأمر أبداً، ومن رأيت منه زيغاً عن العقيدة الإسلامية فليس له من الجزاء إلا أشده ، ومن العقوبة إلا أعظمها .

الثاني : السفهاء الذين يسول لهم الشيطان بعض الأمور المخلة بأمن البلاد وراحتها ، فهؤلاء شأني معهم شأن الديناميت مع النار)[2] .

---

(١) الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، لخير الدين الزركلي ص ١٦١ .

(٢) المصحف والسيف ، لمحيي الدين القابسي ص ٧٣ .

٤ – الإعذار شرط من شروط البلاغ :

الناس في كل مجتمع وسط متباين القرائح ، والفهوم ، والذائقة ، فكان لا بد من استفراغ الجهد ؛ لإيصال الرسالة إلى كل فرد في هذا الوسط ؛ ليصح البلاغ وتقوم الحجة ، وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يكرر الكلمة ثلاثاً حتى تفهم ، وكثيراً ما يقول : فليبلغ الشاهد الغائب .

وعلى هذا المنوال ، من تحقيق شروط الإعذار سار الملك عبد العزيز في تعامله مع الناس ونظرته إليهم ، فكان يكرر الملامح الرئيسة في سياسته ، وكان ذلك عن قصد ؛ ابتغاء الإثمار والإعذار عند الله .

يقول الملك عبد العزيز مؤكداً هذه الحقيقة بوصف دقيق ولطيف ؛ حيث شبّه تكرار النصيحة بتكرار نزول المطر ، بجامع حسن الأثر فيهما : « وإن الذي أريده وأطلبه منكم هو : ما ذكرته لكم من التمسك بدين الله ، وهذه طريقتي التي أسير عليها ، والتي لا يمكن أن أحيد عنها مهما تكلفت، وإني أحب أن أردد عليكم هذا ؛ لاعتقادي أنه كالمطر ، إذا تكرر نزوله على الأرض أنبتت وأثمر نباتها »[1] .

٥ – الجمع بين الترغيب والقيادة :

من مميزات منهج الملك عبد العزيز في مخاطبة الناس ؛ أنه يجمع بين الترغيب والترهيب ؛ ذلك أنه يخاطب جمعاً من الناس ، فيهم من

---

(١) المصحف والسيف ، لمحيي الدين القاسي ص ٧١

تكفيه الموعظة والترغيب في الخير ، وفيهم من لا يزجره سوى الترهيب والتهديد بالعقوبة ، بل وإيقاعها .

ففي واحد من الطرفين يقول : « لا تفاضل إلا بالتقوى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [1] ، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى ، « كلكم لآدم، وآدم من تراب [2] » سوّى بينكم ، وأكْبَرَ من شأنكم ، فأمر ألا تعبدوا إلا إلهاً واحداً ، ولا تخافوا إلا واحداً ، ولا تسألوا إلا واحداً »[3] .

وفي الطرف الآخر يقول : « يجب أن تنصحوا الجاهل ، وترشدوه إلى طريق الحق والهدى ، فإذا اتبع فالحمد لله ، وإذا أبى وعاند فإنما إثمه على نفسه . وإني – والله – أحب السلم وأسعى إليه ، فإذا ما بليت صبرت حتى إذا لم يبقَ في القوس منزع ، وحان وقت الدفاع عن الدين والوطن فعلت :

إذا لم تكن إلا الأسنة مركبا فما حيلة المضطر إلا ركوبها

وهنا لا يكون إلا إحدى الحسنيين ؛ إما السعادة وإما الشهادة »[4] .

٦ – الملك عبد العزيز مع أهله :

شخصية الملك عبد العزيز الحازمة في موضع الحزم تركت ظلالها

---

(١) سورة الحجرات ، آية : ١٣ .

(٢) انظر : سنن الإمام الترمذي في كتاب « المناقب » ، وسنن الإمام أبي داود في كتاب الأدب ، ومسند الإمام أحمد في بقية مسند المكثرين .

(٣) المصحف والسيف ، لمحيي الدين القاسي ص ٧٧ .

(٤) المصحف والسيف ، لمحيي الدين القاسي ص ٧٢ .

في الأذهان ، وأنْبَتَ ذلك تساؤلاً عن كيفية تعامل هذا القائد الفذ مع أهله .

يقول الأمير طلال : « ذهب ذات مرة أربعة من إخوتي الكبار ، إلى إحدى زوجات الوالد ، وسألها أحدهم : كيف تتحملين العيش مع هذا الرجل الحازم القوي؟ فأجابت بهدوء وابتسام : عبد العزيز عند أهله غيره في مجالس الحكم، عبد العزيز في بيته إنسان لا حاكم ، وليس لشفقته وحنانه حدود ، إنه يغمرنا بعطفه كل آن »[1].

وصُوَرُ برِّ الملك عبد العزيز بوالده الإمام عبد الرحمن ، وأعلاها تنازله له عن ثمرة جهده (الحكم) لا تحتاج إلى إعادة ، وتربيته أولاده على المروءة والشجاعة وكريم الأخلاق غنية عن البيان .

ثالثا - منهج الملك عبد العزيز في مخاطبة غير المسلمين :

الدارس لمخاطبات الملك عبد العزيز للعالم غير المسلم شفاهةً أو تحريراً ، ستتضح له عناصر منهجه في هذا الخطاب ، وهو منهج حكيم فريد ، استمد أصوله مما تمليه عليه عقيدته الإسلامية السمحة ، وما استنطقه من سيرة نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – وصحابته الكرام رضي الله عنهم .

ويمكن تبيُّن أهم ملامح تلك العناصر باختصار في النقاط التالية :

---

(١) انظر : صور من حياة عبد العزيز ، للأمير طلال بن عبد العزيز ص ١٠٢ .

١ - اللين ، مع التنبيه إلى الأخطار المحدقة :

في اليوم التاسع عشر من شهر ذي القعدة عام ١٣٥٦ هـ (يناير ١٩٣٨م) كتب الملك عبد العزيز مذكرة ، وبعثها إلى الحكومة البريطانية ، مازجاً بين اللين في الخطاب ؛ مما تستدعيه مصلحة الأمة ، وطبيعة العلاقات بين البلدين، وبين التنبيه إلى الأخطار المحدقة بتلك العلاقات ؛ نتيجة تصرفات الحكومة البريطانية في فلسطين ، وموضحاً أن مصلحة العرب والمسلمين واحدة .

قال في مذكرته تلك : « لسنا في حاجة إلى أن نؤكد للحكومة البريطانية صداقتنا وسعينا في تقوية هذه الصداقة ، وأن السياسة التقليدية التي سرنا عليها هي التي حملتنا على تبادل الرأي مع بريطانيا في كل ما له صلة بالصالح العربي . . .

إن قلق العرب والمسلمين أساسه هو : تصريحات اليهود المتكررة ؛ من أن غرضهم هو : إنشاء مملكة يهودية في فلسطين ، وسيل الهجرة في السنوات الأخيرة جعل العرب والمسلمين يقلقون على مستقبل بلد عربي له قداسته الدينية ، فقد كان اليهود أقلية ضئيلة ، ثم صاروا إلى الثلث تقريباً اليوم، وإذا ظل باب الهجرة مفتوحاً فإنه ستصبح الأكثرية في فلسطين لليهود، وتتحقق المخاوف التي تساور العرب في طردهم من بلادهم »(١).

٢ - الصراحة ، مع التصريح بأسبابها :

في شهر رجب، عام ١٣٥٦هـ (سبتمبر ١٩٣٧م) كتب الملك

---

(١) انظر : المصحف والسيف ، لمحيي الدين القابسي ص ٢٣٣ .

عبدالعزيز مذكرة إلى الحكومة البريطانية ، واستخدم فيها منهج المصارحة معها في بيان تواطئها مع الصهيونية ، واستعداده لدعم الحركات العربية الرامية إلى الحفاظ على فلسطين الإسلامية .

قال : « قد أَبْلَغْنَا السير « ريدر بولارد » دهشتنا من تقرير اللجنة الملكية، واعتبارنا له ضربة مؤلمة ، تصيبنا - نحن خاصة - فضلاً عن إصابتها لأماني العرب والمسلمين في الصميم ، وقد أبلغناه ذلك قبل أن ينشر التقرير، ويعلم الأثر البالغ الذي أحدثه بين العرب في فلسطين وسائر البلاد العربية، فلما رأينا صدى الرأي العام في فلسطين والبلاد العربية - وبالأخص في بلادنا - لم نجد بداً من لفت نظر الحكومة البريطانية الصديقة إلى الأخطار التي تنجم عن الخطأ في معالجتها ، وإلى الظروف المحيطة بها ، والتي يمكن أن تؤثر فيها ، وبالتالي في علاقتنا ، بل علاقة العرب إجمالاً ببريطانيا . . .

إننا نرى بوادر الخطر ظاهرة في التحفظ والاستعداد في فلسطين ، وشرقي الأردن نفسها، وفي البلاد العربية المجاورة، وقد تحقق لدينا أن العرب يعتبرون[1] هذه القضية قضية موت أو حياة، ونخشى أن ينقلب هذا النزاع - وليس من المستبعد أن ينقلب - إلى نزاع عنصري، بين العرب وبريطانيا، وهذا أمر يجب أن نبذل جهدنا للحيلولة دونه ، ولكن قوة الرأي العام ودافع الشعور يجعل الوقوف في سبيله - فضلاً عن عدم مساعدته - أمراً في حكم المستحيل ، وهذه إحدى المشكلات التي علينا أن نواجهها إذا جدَّ الجدُّ »[2] .

---

(١) يعدون .

(٢) انظر : المصحف والسيف ، لمحيي الدين القابسي ص ٢٣٨ .

إن إمعان النظر في العبارات الأخيرة، وهي قوله : (ولكن قوة الرأي العام ودافع الشعور، يجعل الوقوف في سبيله – فضلاً عن عدم مساعدته – أمراً في حكم المستحيل) يدلك إلى نتيجة أكيدة، هي التهديد بدعم الحركات المناوئة للحكومة البريطانية إذا جد الجد ؛ لأن حرص الملك عبد العزيز على المصلحة الإسلامية مقدّم على الحرص على علاقة طيبة ببريطانيا إذا تضادا .

٣ – الإقناع العقلي :

مع غير المسلم ، قد لا ينجح إيراد النصوص الشرعية ؛ لأنه لا يؤمن بقدسيتها وصحتها ، فلا بد حينئذٍ من اللجوء إلى الإقناع العقلي ، وحينذاك لا بد من وجود قائد ماهر ، يوجِّه دفة مركب هذا الإقناع ، وقد كان الملك عبدالعزيز ذلك الربان الماهر .

يقول في مذكرة وجَّهها للحكومة البريطانية : « إن بريطانيا العظمى تعلم أن بعض البلاد الأوروبية التي تفوق فلسطين في سعة الأرض ، والتقدم الاجتماعي والاقتصادي ، قد ضاقت ذرعاً باليهود، فهل يلام أهل فلسطين ومجاوروهم العرب إذا رأوا سيل اليهود يطغى على سكان البلاد ، ويهدد مستقبلهم؟ »[١] .

وبذات المنهج يخاطب رئيس الولايات المتحدة الأمريكية « ترومان » مُظْهِراً استياءه من دعم حكومته لمشروع توطين اليهود في فلسطين ، مقنعاً له بأسلوب عقلي مقنع ، لو كانت النفوس مهيأة للاقتناع .

(١) المصحف والسيف ، لمحيي الدين القابسي ص ٢٣٤

قال : « كانت دهشتي عظيمة حين اطلاعي على البيان الأخير الذي نسب لفخامتكم ؛ مما جعلني أشك بصحة نسبته إليكم ؛ لأنه يتناقض مع وعود حكومة الولايات المتحدة ، والتصريح الذي صدر في ١٦ أغسطس ١٩٤٦م من البيت الأبيض .

وأني لعلى يقين بأن شعب الولايات المتحدة الذي بذل دمه وماله في مقاومة العدوان الغاشم لا يمكن أن يسمح بهذا العدوان الصهيوني على بلد عربي صديق لم يقترف ذنباً ، غير إيمانه في مبادىء العدل والإنصاف التي قاتلت من أجلها الأمم المتحدة ، وكان من أركانها بلاد الولايات المتحدة، وكان لفخامتكم بعد سلفكم العظيم المجهود العظيم في هذا السبيل »(١).

٤ - المصلحة العليا للوطن والأمة أولاً :

هذه الأولوية كانت بارزة في مسلكين في حياة الملك عبدالعزيز : في أقواله ، وفي سلوكه كذلك . فإن الملك عبد العزيز كان يعتقد أن الأفعال لابد أن تكون مصدقة للأقوال ، وإلا كانت كذباً ، أعلن أكثر من مرة براءته إلى الله منه .

وفي ضوء هذه المُسَلَّمة من الحق أن يقال : « نظمت المملكة العربية السعودية علاقاتها مع الدول الأخرى على ضوء مصلحتها العليا ، مستمدة أسسها من واقع بلادها الحر ، ومن تصاميمها التي تخضع لسلطان الدين غير محابية في ذلك ولا مجاملة »(٢) .

---

(١) المصحف والسيف ، لمحيي الدين القابسي ص ٢١٠ .

(٢) رجل وأمة ، عبد الكريم المصلوحي ص ٩١ .

وغلبة مصلحة الأمة عند الملك عبد العزيز، واعتزازه بشخصيته الإسلامية الواثقة بعزة الله ، وبنصره المكين ، بلغت أوجها في خطابه إلى الكولونيل « هوسكنز » عام ١٣٦٢ هـ (١٩٤٣م) الذي قال فيه :

« أما الشخص ، الذي هو حاييم وايزمن ، فهذا الشخص بيني وبينه عداوة خاصة ، وذلك لما قام به نحو شخصي من جرأة مجرمة ، بتوجيهه إليّ من دون جميع العرب والمسلمين تكليفاً دنيئاً ؛ لأكون خائناً لديني وبلادي ، الأمر الذي يزيد البغض له ولمن ينتسب إليه ، وهذا التكليف قد حدث في أول سنة من الحرب ؛ إذ أرسل إلي شخصاً أوروبياً معروفاً ، يكلفني أن أترك مسألة فلسطين ، وتأييد حقوق العرب والمسلمين فيها ، ويسلم إلي عشرين مليون جنيه مقابل ذلك ، وأن يكون المبلغ مكفولاً من طرف فخامة الرئيس (روزفلت) نفسه . فهل مِن جرأة ، أو دناءة أكبر من هذه ؟ وهل من جريمة أكبر من هذه الجريمة ، يتجرأ عليها هذا الشخص بمثل هذا التكليف ؟ »[1].

لقد أكَّد الملك عبد العزيز في خطابه القوي هذا قاعدةَ « الحب والبغض في الله » ؛ فكان درساً لمن يتعامل معه من المسلمين ومن غير المسلمين في الداخل وفي الخارج ، يتعرفون من خلاله على قوة شخصيته ، ونزاهة سياسته ، وسلامة قيادته .

---

(١) المصحف والسيف ، لمحيي الدين القاسي ص ١٧٢ .

المبحث الرابع

انفتاح الملك عبد العزيز على العالم

مع الاحتفاظ بشخصيته

أولا - خلفية الانفتاح وأسبابه :

البلاد السعودية شاسعة المساحة ، ذات طبيعة جغرافية قاسية ، وذات أنماط اجتماعية من السكان مختلفة، وكانت – وهذا هو المهم – في نفس الملك عبد العزيز رغبة متقدة في إسعاد شعبه وفي تخفيف معاناتهم في حياتهم اليومية الصعبة .

ثم هناك شخصية الملك عبد العزيز المتميزة ، وثقته بربه أولاً ، ثم ثقته بفكره وبقدراته ثانياً ، ثم رغبته في النهوض ببلده ، وتحقيق آمال أمته في التقدم والازدهار؛ كل ذلك كان دافعاً للملك عبدالعزيز كي يفتح الأبواب على العالم الخارجي ؛ ليستفيد من تقدمه في المجالات المختلفة لصالح وطنه ولمصلحة أمته .

ثانيا - ضوابط الانفتاح :

والملك عبد العزيز في غمرة هذه الرغبة لم يتأخر – قيد أنملة — عن قناعاته الفكرية ، ولا سيما في مجال عقيدته التي عض على ثوابتها، ومسلماتها بالنواجذ ، فكان في رغبته هذه – كما هو حاله دائماً – كالمحارب الحذر ؛ يتوخى متى يقدم، ومتى يتأخر، حريصاً على الغنيمة، وحريصاً – ربما أكثر – في الوقت ذاته على السلامة ، أو كما هي حال من يقطف الوردة ، محاذراً وخز الشوك المحيط بها .

أجل ! هكذا كان انفتاح الملك عبد العزيز على العالم الخارجي ؛ مضبوطاً بقدر الحاجة ، وبسلامة الثوابت ، كابد ، وعانى ، من أجل أن ينهض بمجتمع محدود القدرات ، والتصورات ، وكابد وجاهد

ليقضي على العدو المتربص في النفوس آنذاك ؛ أعني الجهل ، فالإنسان عدو ما يجهل !

كان الملك عبد العزيز يعرف ضخامة المسؤولية التي ألقيت على كاهله ، مسؤولاً عن وطنه، ومسؤولاً عن أمته، وكان يعلم أن المسؤول مؤتمن، ومحاسب من الله ومن الناس .

لذا « كان عبد العزيز ، مع تمسكه بتعاليم الإسلام ، واعتزازه بتراث العروبة، وحفاظه على مبادئهما الروحية ، وتقاليدهما الأخلاقية ؛ متفتحاً على روح العصر ، متطلعاً إلى المدنية والحضارة ، يريد أن يأخذ منهما ما يفيد ، ويقتبس كلَّ ما ينهض بدولته ، ويرقى بأمته عازفاً عن القشور ، حريصاً على اللباب »(١) .

وقد أشار الملك عبد العزيز في أكثر من موضع ، وفي أكثر من مناسبة إلى هذه الحقيقة ، مؤكداً على أنها من الثوابت . وحين خاض الشانئون في إفكهم البغيض ، مرددين – للبلبلة والتشكيك – أن الملك عبد العزيز اقترض من الإنجليز ، عاد فأكد موقفه بصراحة لا لبس فيها ، وقطع الطريق على الأدعياء والدخلاء .

قال : « لقد خاض الناس في القرض الكاذب ، ولفقوا ، وأوَّلوا ، وأنا أقول : والله – الذي لا رب سواه – لم أعمل مع الإنجليز ، ولا مع غيرهم قرضاً « ما » وربما أننا نحتاج ، ونأمل من المسلمين ، أو غيرهم .

---

(١) موعد مع الشجاعة ، قدري قلعجي ص ٢٢٩ .

ولكن إذا وقع فلا يمكن أن يخرج ذلك عن حدود الشرع ، ولا يمكن أن يمس البلاد، واستقلالها، وما فيها »[1] .

لقد حرص الملك عبد العزيز أن يبطل الزعم الكاذب، ولكنه – مع ذلك – حرص على أن يعيد للأذهان القاعدة التي وضعها أمام عينيه ، سلامة العقيدة أولاً ، وسلامة استقلال البلاد وكرامتها ثانياً ، ثم تأمين حاجة البلاد في ضوء هاتين القناعتين من المسلمين أو من غيرهم ، مادام ذلك لا يعارض سلامة دينه ، ولا سلامة بلده .

ثالثا - حماية البلاد من خطر الاستعمار :

علاقة الملك عبدالعزيز بالعالم الإسلامي كانت مبنية على النصرة والتأييد، ولكن لا بد من التأكيد على أن الملك عبد العزيز كان متأذياً من سيطرة الاستعمار الغربي على مقدرات شعوب العالم الإسلامي ؛ ولذا كان في علاقته مع تلك الشعوب حريصاً على ألاّ يجد الاستعمار موضعاً له في بناء الدولة السعودية ، يستطيع أن يعمل فيه معولَ هَدْم .

ورسَّخ الملك عبد العزيز في العالم الإسلامي قوة شخصيته ، مستمداً نجاحه من ثقته بربه ، ثم اعتزازه بقدراته الشخصية . وكان هذا الترسيخ مبكراً، فحين بايعه الحجاز بادر إلى دعوة الوفود الإسلامية إلى مؤتمر عام ، واجتمع المندوبون من كل مكان ؛ من بلاد العرب والمسلمين .

---

(١) المصحف والسيف ، لمحيي الدين القاسي ص ٨٣ .

ولأن غالب العرب والمسلمين آنذاك كان مطبوعاً على حب السيادة ، فسرعان ما نشب نزاع بين المندوبين على من له الحق في تولي إدارة الأماكن المقدسة ، ناسين الذي جمعهم ، والذي بذل النفيس لتهيئة البيت الحرام لكل عباد الله دون استثناء ، فماذا كان موقف الملك عبد العزيز حينئذ؟

«نهض ، وقال بلهجة حازمة : إخواني ، أعضاء الوفود الإسلامية ، كونوا على ثقة بأنني لن أوافق أبداً على وجود أية رقابة أجنبية في بلادي ، ولسوف أعرف بعون الله كيف أصون استقلال هذه الديار»[١] .

وبيَّن للمندوبين أن أياً من الشعوب الإسلامية أو العربية آنذاك لم تكن مهيأة لضمان استقلال الأماكن المقدسة ؛ إذ إن بلدانها كانت خاضعة لنفوذ الإنجليز أو الفرنسيين أو الإيطاليين ، فالعهد بإدارة الديار المقدسة إلى أيٍّ من هذه الشعوب معناه إلحاقها بصورة غير مباشرة بالسيطرة الأجنبية .

---

(١) الملك عبد العزيز ؛ سيرة بطل ومولد مملكة ، بنوا ميشان ، تعريب ، عبد الفتاح ياسين ص ١٧٧

الفصل الثاني

(الملك عبد العزيز القائد)

المبحث الأول

خصائص الملك عبد العزيز القيادية

شخصية الملك عبدالعزيز القيادية ليست محل شك أو انتقاص؛ فإن من استطاع أن يعيد ملك آبائه بعدد قليل من الرجال ، وبقليل جداً من الإمكانات، وفي زمن يعدّ بالنظر إلى ضخامة الإنجاز قصيراً جداً ، هو من قوة الشخصية بمكان !

ويمكن القول – بحق – : إن الملك عبد العزيز كان له رصيد كبير من توفيق الله تعالى ، وهو منحة من الله عز وجل ، يهبها لمن حسنت نيته وصدق إخلاصه ، كما يمكن القول بحق – كذلك – : إن لشخصيته القيادية ومواهبه الفطرية والمكتسبة أثراً كبيراً في بلوغه الشأن الرفيع الذي بلغه ، فأعانه ذلك على تأسيس وتوحيد دولة قوية الأركان ، مترامية الأطراف .

والملك عبد العزيز يعرف فضل ربه تعالى عليه ، حيث أمده بتوفيقه ونصره ، فيقول : « لقد خرجت ، وأنا لا أملك شيئاً من حطام الدنيا ، ومن القوة البشرية ، وقد تألّب الأعداء عليَّ ، ولكن بفضل الله وقوته تغلبت على أعدائي ، وفتحت كل هذه البلاد »(١) .

فكيف يمكن التعرف على خصائص شخصية الملك عبد العزيز القيادية التي أهلته – بعد توفيق الله تعالى له – أن يكون قائداً فذاً ملهماً استحوذ على إعجاب العرب والعجم ؟

إن أهم ملامح تلك الشخصية القيادية المتميزة يمكن استنطاقه من خلال المحاور الآتية :

---

(١) المصحف والسيف ، لمحيى الدين القابسي ص ٥٣ .

أولا - العلاقة بين الراعي والرعية :

لقد كان سمو هذه العلاقة من الأسس الثابتة في شخصية الملك عبدالعزيز القيادية، وكان سبباً من أسباب تعلق الرعية براعيها . ولا سيما إذا استحضرنا الحال التي كان عليها المجتمع قبل عهد الملك عبدالعزيز ، والعلاقة بين الحاكم والمحكوم خلالها .

١ – ملامح هذه العلاقة وثوابتها :

وقد حدد الملك عبد العزيز ملامح هذه العلاقة وثوابتها في مجالي الحقوق والواجبات ، لكل طرف من طرفي العلاقة ، تحديداً دقيقاً وواضحاً بقوله : « لقد مضى يوم القول، ووصلنا إلى يوم البدء في العمل ، فأوصيكم ونفسي بتقوى الله ، واتباع مرضاته ، والحث على طاعته ؛ فإنه من تمسَّك بالله كفاه ، ومن عاداه – والعياذ بالله – باء بالخيبة والخسران .

إن لكم علينا حقوقاً ، وإن لنا عليكم حقوقاً . فمن حقوقكم علينا : النصح لكم ، في الباطن والظاهر ، واحترام دمائكم وأعراضكم وأموالكم، إلا بحق الشريعة. وحقنا عليكم : المناصحة، والمسلم مرآة أخيه ، فمن رأى منكم منكراً في أمر دينه أو دنياه فلْيناصحنا فيه ، فإن كان في الدين فالمرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وإن كان في أمر الدنيا فالعدل مبذول – إن شاء الله – للجميع على السواء »[١] .

---

(١) الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، لخير الدين الزركلي ص ٨٩ .

٢ - الاستعداد النفسي لقبول هذه العلاقة :

حرص الملك عبد العزيز على بناء علاقته برعيته على أساس نفسي متين من القبول ؛ لأن ذلك يشيع في النفوس الرضا ، مما يتيح مناخاً ملائماً للعمل الجاد، وجعَلْته نظرته الرفيعة هذه يعلن استعداده للتنازل عن ملكه ، إذا لم يكن قادراً على تحقيق هذا المناخ المناسب .

فها هو يقول مخاطباً الجمعية العمومية للعلماء وزعماء القبائل ورؤساء الحواضر والبوادي : « أريد منكم أن تنظروا - أولاً - فيمن يتولى أمركم غيري . . .

وكونوا على يقين بأنني لم أقل هذا القول استخباراً ؛ لأنني ولله الحمد، لا أرى لأحد منكم منَّة عليَّ في مقامي هذا ، بل المنة لله وحده ، ولست في شيء من مواقف الضعف حتى أترك الأمر لمنازعٍ بالقوة .

لا يحملني على هذا القول إلا أمران ، الأول : محبة راحتي في ديني ودنياي ، والثاني : أني أعوذ بالله من أن أتولى قوماً ، وهم لي كارهون ، فإن أجبتموني إلى هذا فذلك مطلبي ، ولكم أمان الله ، فأيٌّ من يتكلم في هذا فهو آمن ، ولا أعاتبه لا آجلاً ولا عاجلاً ، فإن قبلتم طلبي هذا فالحمد لله، وإن كنتم لا تزالون مصرين على ما كلفتموني به ، على إثر دعوتي لكم ، فإني أبرأ إلى الله أن أخالف أمر الشرع في اتباع ما تُجْمِعون عليه مما يؤيد شرع الله »[1] .

---

(١) انظر : الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، لخير الدين الزركلي ص ١١٤ .

وهكذا رسَّخ الملك عبد العزيز الأسس المتينة لعلاقة كريمة بين الراعي والرعية ، في سبيل مصلحة الوطن والأمة ، مما لم يكن معهوداً في المجتمع في كثير من العهود السابقة ، حيث عانت هذه العلاقة من الفجوات الواسعة ، والخنادق المحرقة .

ثانيا - إمساكه بمفتاح القوة الحقيقية :

لقد أدرك الملك عبد العزيز – مبكراً – أن العمل هو مفتاح القوة الحقيقية للمجتمع الذي يودّ له الرقيّ ، ويسعى إلى أن يصعد به مراقي التقدُّم ، وأدرك كذلك صعوبة تحقيق تطلعه هذا ، في ظل بعض أعراف وعادات مجتمعه .

ولكنه عقَد العزم على أن تكون أسنان مفتاحه سليمة ؛ ليفتح باب القوة لمجتمعه ، وحرص على أن يزيل غبش بعض المفاهيم الخاطئة، والنظرات القاصرة عن العمل التي قد علقت أذهان البعض ، وغشيت نظرة البعض الآخر.

وكان أن وفقه الله تعالى إلى استثمار الشعور السائد ، مبيناً نظرة الشرع الحكيم إلى أهمية العمل ، وأنه سبب من أسباب القوة على العدو ، ومشجعاً على الدخول في مجالاته المختلفة ، ومُورِداً الأدلة الشرعية على صحة رأيه .

يقول الملك عبد العزيز : « إني أقول بوجوب القوة في كل شيء : في الزراعة، وفي السياسة، وفي الصناعة، وفي كل أمرٍ فيه طاعة لله.

أما ما يخالف ذلك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وقد أمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بتعليم اللغات الأجنبية ؛ لأنها من ضمن القوة على العدو ؛ لئلا يظهر عليهم، وكذلك أصحابه من بعده »[١] .

ثالثا - مراعاة أحوال المخاطبين :

يقرر العلماء أن معرفة أحوال المخاطبين شرط من القواعد اللازمة ، والشروط المطلوبة لصحة البلاغ ؛ ولذا أُرسل كل نبي إلي قومه ، وبلسانهم ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ** ﴾[٢] ونسب إلي عدد من الصحابة – رضي الله عنهم – قولهم : (حدِّثوا الناس بما يعرفون ، أتريدون أن يكذَّب الله ورسوله ؟) .

ولأن القائد مبلّغ ، فإن هذا الشرط لازمٌ لتمام نجاحه القيادي . وقد كان الملك عبد العزيز مدركاً – تمام الإدراك – أهمية مراعاة أحوال المخاطبين ، حتى عرف ذلك منه معاصروه ، وأهله .

١ – مراعاة أحوال الرعية في الخطاب :

لأن عبد العزيز حريصٌ على مراعاة أحوال رعيته ؛ فلا عجب ولا غرابة أن « نجد كلامه مطابقاً مقتضى الحال ، كما يقول البلاغيون في تعريف الكلام البليغ ؛ فمثلاً لم يخاطب البدو بلهجة الحضر ، ولا خاطب الحضر بلهجة البدو . . .

وزاد على ذلك بأن جعل له دواوين مختصة ، يتحدث في كل ديوان بما يناسبه من كلام . . .

---

(١) المصحف والسيف ، لمحيي الدين القابسي ص ٨٠ . ونصُّ الحديث عند النسائي في كتاب الاستئذان وعند أبي داود في كتاب العلم : « قال زيد بن ثابت : أمرني رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فتعلمت له كتاب يهود . . فكنت أكتب له إذا كتب ، وأقرأ له إذا كُتِبَ إليه » .

(٢) سورة إبراهيم ، آية : ٤ .

وحين أراد تطبيق نظام الشورى رأى من البعض أنهم أبعد ما يكونون عن فهم هذا النظام، فحين أراد إقناعهم خاطبهم بلغتهم قائلاً: إذا شرد القعود هل يستطيع أن يدركه ، فيمسك به شخص واحد ؟

أجابوا : لا يا عبد العزيز ، لا بد له من اثنين ، أو ثلاثة أشخاص ، أو أكثر لنمسك به ، قال عبد العزيز : كذلك الرأي ، كلما اجتمع رأيان ، أو ثلاثة ، أو أكثر من ذلك تمَّت الشورى بمعناها الشرعي ، وهي النتيجة المطلوبة »[1].

٢ - مراعاة أحوال الرعية بالرأفة بهم :

ومراعاة الملك عبدالعزيز لأحوال الرعية ليست في الخطاب فحسب، ولكنها مبدأ مقيم في وجدانه ، ورأفة تسكن جوانحه ، فحين طال حصار جدة، على غير المتوقع ، «ضاقت صدور الرجال حين قلَّ المال، فنظر عبد العزيز إلى من حوله يقول : المؤن متوفرة في نجد ، غير أن الجمال مشيها وئيد، من شاء منكم الرحيل فليرحل ، أما أنا فمقيم ، والفرج من عند الله .

وقبل أن يمسي ذلك اليوم ، وصلت قافلة ، يتقدمها : إسماعيل بن مبيريك ، أمير رابغ ، وكان الشريف حسين قد قتل أخاً له غيلة ، فلما علم بمقدم عبد العزيز جاءه بالطاعة ، وبعشرين جملاً تحمل التمر ، والسمن، والبر، وكان ذلك من التوفيق)[2] .

---

(١) انظر : صور من حياة عبد العزيز للأمير طلال بن عبد العزيز ص ٥٥ - ٥٧ بتصرف يسير

(٢) الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، لخير الدين الزركلي ص ١٦٩ .

فتأمل كيف أن رأفة الملك عبد العزيز بمن معه لم تكن رفقاً بهم، فحسب، ولكنها رأفة لم تصحبها مِنَّة، بل إنه ساق لهم العذر مقدماً؛ ليطيب خواطرهم ، فيما لو اختاروا الرحيل !

٣ - مراعاة أحوال الرعية بالرفق بهم :

يتحدث عن هذا الجانب في حياة الملك عبد العزيز حفيده الأمير ، عبدالله الفيصل فيقول : « تشرفت بمصاحبته مرة في رمضان ، من قصر الديرة إلى المربع ، وكان هناك عمال يقومون ببعض الترميمات ، فوقف، وسأل عن رئيسهم، فاستدعي له ، فسأله عن مواعيد عملهم؟ فقال : نبدأ العمل من الساعة الثانية صباحاً - أي بالتوقيت الغروبي - حتى الساعة الثامنة، فقال، يا لله العجب ! أنا لا أعمل بيدي ، وأستعمل السيارة في ذهابي لقصر الحكم، وعودتي منه ، ولا أمكث هناك أكثر من أربع ساعات ، وأشعر مع ذلك بالعطش .

وأنتم تعملون معرضين للسَّمُوم ست ساعات ، من الآن وصاعداً لا تعملوا في رمضان أكثر من أربع ساعات في أول النهار ، ولكم أجركم كاملاً »(١) .

ففي هذه الواقعة دليل جليٌّ على أن مراعاة الملك عبد العزيز لأحوال رعيته، كما هو شأن القائد الموفق لم تكن محددة بوقت ومكان ، وإنما هي مراعاة مستمرة ، وملاحظة دائمة ، جعلته يتوقف عند منظر عدد من العمال ، يراهم منهمكين في العمل ، في روحاته وجيئاته، دون أن يتمتعوا بقسط من الراحة.

---

(١) الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، لخير الدين الزركلي ص ٣٢٧ .

رابعا - التحلِّي بالأخلاق التي لا يستغني عنها القائد :

عُرِفَ عن الملك عبد العزيز سجاياه الكريمة من خصال الخير والبرّ، التي أهلته ليكون قائداً ملهماً . وإن كانت هذه السجايا والخصال مما يمكن أن ينسب لشخصيته الإنسانية ، إلا أن المتأمل سيجدها ذات علاقة أقوى بشخصيته القيادية ، وسيجد في الشواهد والتطبيقات من واقع سيرة الملك عبد العزيز ما يؤيد هذا الرأي .

وهَاكَ شيئاً – على سبيل المثال لا الحصر – من تلك الشواهد والوقائع، ليس سوى زِفْرٍ من زُفَرٍ[1]، علَّه أن يفتح لك رحاب تلك الشخصية فتتأمل عظمة إنجازاتها ، وأن يدفعك إلى الاستزادة من سيرتها المبهرة .

١ – العفـــو :

العفو من شيم الكرام ، ولكنه من القائد أعظم وأصدق ؛ لأنه من العفو عند المقدرة ، فهو أبلغ .

« لَمَّا منَّ الله بما مَنَّ من هذا الفتح السلمي الذي كنا ننتظره، ونتوخاه، أعلنتُ العفو العام عن جميع الجرائم السياسية في البلاد، وأما الجرائم الأخرى فقد أحلت أمرها للقضاء الشرعي ؛ لينظر فيها بما تقتضيه المصلحة الشرعية في العفو »[2] .

فتأمل دقة الملك عبد العزيز ؛ حيث فرَّق بين الجرائم السياسية التي تتعلق به شخصياً ؛ لأنه قائد البلاد ، ومن حقه العفو عنها ، وبيَّن

---

(١) الزِّفْرُ . القربة ، والزُّفَرُ : البحر ، انظر : لسان العرب لابن منظور ، مادة « زفر » .

(٢) الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، لخير الدين الزركلي ص ٨٩ .

الجرائم الأخرى التي تحتاج إلى الفصل فيها عن طريق القضاء الشرعي ، ولكنه - رغم ذلك - أشار إلى تغليب المصلحة الشرعية في العفو ، أي : أنه يحث على العفو ، متى كان هذا العفو لا يخالف منهجه في تطبيق شرع الله .

٢ - الطموح والجرأة :

عندما يتأمل المؤرخ ، أو المفكر ، أو الإنسان العادي إقدامَ الملك عبدالعزيز على «استعادة الرياض»، لا بد أن يتساءل : كيف استطاع بعدد قليل من الرجال والعتاد وبإمكانات ضعيفة أن ينتصر ؟ وهل يصح أن يوصف فعله بأنه مغامرة ؟

«إنها طموح في المرتبة الأولى ، طموح يحقق هدفاً بعيداً ، ويصل إلى غاية معينة مقصودة ، والطموح هو : علو النفس ، والارتفاع بها عن سفاسف الأمور ... والجرأة هي التي تَلِي الطموح في الدفع إلى تحقيق الغاية . والجرأة هي قبل الشجاعة ، وأهم منها »[١] .

المغامرة ليست أكثر من مقامرة ، أما الطموح فهو : إيمان راسخ في النفس، يدفعها إلى الغايات الرفيعة والأهداف النبيلة دون تردد أو وجل ؛ ولذا لم يَخْلُ طموحُ عبد العزيز من الحرص على التخطيط ، وإعطاء حساب دقيق للمواقف المحتملة ، والعقبات المتوقَّعة .

٣ - الشجاعة :

الشجاعة ليست لباساً يلبسه الإنسان متى شاء ، وينزعه متى شاء،

---

(١) انظر : الملك عبد العزيز ، سيرة لا تاريخ ، فؤاد شاكر ص ٣١ ، ٣٢ بتصرف .

ولكنها خُلُقٌ متأصل في النفس ، وعبد العزيز كان شجاعاً مقداماً ، وشجاعته هذه تستمد وقودها من إيمانه القوي بالله ، ثم من ثقته بنفسه وبقدرته.

قال الدكتور رشاد فرعون - طبيبه الخاص - : « أردتُ أن أُخْرِج رصاصتين ، استقرتا في بطن الملك أثناء إحدى المعارك ، فأتيتُ بالمخدر؛ لأحقنه به ، فقال لي : ما هذا ؟

قلت : البنج !. قال: ولماذا ؟ . قلت : للتسكين حتى لا تتألم. فضحك، وقال : دعك من هذا ، وبعد البنج ، ماذا تنوي أن تفعل . قلت : بعد أن أشق بالمبضع جلد البطن ، في موضع الرصاصة ، وأخرج الرصاصة ، أخيط الجلد .

فطلب مني المبضع ، وتناوله بيده ، وشق موضع الرصاص ، وأخرج الرصاصيتين ، ثم قال لي : الآن تستطيع خياطة الجرح ، ولا تحتاج معي إلى البنج[1] » .

وهذه الحادثة وجهٌ لصورة من صور شجاعة عبد العزيز ، في تعويد نفسه على التحمل ، تهيئةً لها ؛ للشجاعة التي تصل درجتها إلى تحمل المشاق عن الرعية ، ودفع الأخطار عنهم .

والوجه الآخر من الصورة تحكيه الحادثة التالية :

« أخبرني ثقاتٌ ممن حج ذلك العام أن عبد العزيز لما علم

(١) الوجير في سيرة الملك عند العرير ، لخير الدين الزركلي ص ٣٣٤ ، وموعد مع الشجاعة ، لقدري قلعجي ص ٢٦٠ .

بالخبر – فتنة المحمل في حج عام ١٣٤٤هـ – وهو على رأس الحجيج نهض من سرادقه ، وأسرع يعدو إلى أن توسط بين العربان ونار الجند ، وبسط ذراعيه يصيح : أنا عبد العزيز ! أنا عبد العزيز !

وكان من حسن حظ العرب والإسلام ؛ أنه لم تتناوله رصاصة طائشة أو متعمدة . وهدأ إطلاق النار ، وتدخَّل الجند السعودي ، وانكف الناس ، وأمر بحجز المحمل عن الأنظار »[١] .

تلك كانت خصائص شجاعة الملك عبد العزيز ؛ تهيئة متينة ، أنتجت ممارسةً متميزة ، وإقداماً ممزوجاً بالثقة ، أثمر نجاحاً باهراً لمن أراد أن يكون رجلاً أُمَّةً .

٤ – البداءة بالنفس :

لقد حرص الملك عبدالعزيز على أن يبدأ بنفسه في الأمر والنهي، اتباعاً لكتاب الله عز وجل ولسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وكان مدركاً لأهمية القدوة الصالحة في حياة القائد الموفق .

« إن التناصح ضروري للمسلمين ، ولكن يجب على الإنسان أن لا ينسى نفسه ؛ ليكون لنصحه أثر في القلوب ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾**﴾[٢] .

فالواجب على المسلم أن يحرص على دينه ، وعلى نصيحة المسلمين ، وأن يقدم الخير على الشر ، كل هذا من الله ﴿**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ**﴾[٣] .

---

(١) الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، لخير الدين الزركلي ص ١٢٦

(٢) سورة البقرة ، آية : ٤٤ .

(٣) سورة الأنفال ، آية : ١٧

والأمــان جند من جنود الله ، والخــوف جند من جنود الله ، فالإنسان لا يأمن إلا بأمن من الله ، ويجب أن تعتقدوا أن ما ترونه من الأمن الآن ، ليس هو إلا نعمة من الله أنعم بها على المسلمين »[١] .

« وإني أعتمد في جميع أعمالي على الله وحده ، لا شريك له ، أعتمد عليه في السر والعلانية ، والظاهر والباطن ، وإن الله مُسَهِّلٌ طريقنا لاعتمادنا عليه ، وإني أجاهد لإعلاء كلمة التوحيد ، والحرص عليها ، وأحب أن أراها قائمة ، ولو على يد أعدائي ، وإن تَمَّت على يدي فذلك فضل من الله .

وكل عمل لا يتم إلا بالإخلاص ، والنصيحة للمسلمين واجبة ، وقد قيل : (الدين النصيحة)[٢] ومن عمل ذلك وجاهد فيه فقد أدَّى ما عليه »[٣] .

« وإني أطلب منكم ومن غيركم أن من رأى مني شيئاً مخالفاً؛ فليوضحه لي ، وليرشدني إلى طريق الحق ؛ وليكن كما قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – لمن أراد أن ينصحه : (فليكن ذلك بيني وبينه) فوالله إذا رأيت الحق أتبعه؛ لأني مسترشد، ولست بمستنكف، ومن رأى شيئاً وكتمه فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين »[٤] .

---

(١) المصحف والسيف ، لمحيي الدين القاسي ص ١٠٠ .

(٢) صحيح مسلم في كتاب الإيمان ، وسنن النسائي في كتاب البيعة ، وسس أبي داود في كتاب الأدب ، ومسند أحمد في مسند الشاميين .

(٣) المصحف والسيف ، لمحيي الدين القاسي ، ص ٧٠ .

(٤) المصحف والسيف ، لمحبى الدين القابسى ، ص ٧٣

٥ - الحكمة تحرسها الحنكة :

الحكمة خُلُقٌ نبيلٌ ، ولكنها تكون صفة قيادية عندما تكون حكمة تحرسها حنكة ، وحنكة تضبطها حكمة ، يتبين لك بهاء هذا المزيج المحكم من تأمل ما قاله عبد العزيز عن تعامله مع بعض الشاذين عن الطريق السواء :

« هذه نصيحتي ، يبلِّغها الشاهد منكم الغائبَ ، وليعلم الجميع أني لا أحمل حقداً على أحد، إلاّ على شخصين، إما رجل ملحد في الدين، أو رجل يقصد هذه البلاد بسوء، فمن كان في نفسه شيء من ذلك؛ فلا يأمنَنَّ عقابي.

وقد كنت أريد الإيقاع ببعض من أعلم فيهم ذلك، ولكني منعتُ نفسي، وأحببت تقديم هذا النصح للجميع، وأسأل الله التوفيق لنا في أعمالنا »(١).

فالتهديد بالعقاب ، في موازين الحكمة ، قد يكون أبلغ من إيقاع العقاب ذاته ؛ لأن في المخاطبين من يكفيه التهديد ، أو على الأقل قد يحرم المعاندين من النصرة والتأييد من الغير . وهكذا كان فعلُ عبدالعزيز ؛ إعذاراً وإنذاراً.

وفي موازين الحكمة كذلك ، قد يكون تأخير إيقاع العقاب أبلغ ؛ ليكون أدق وأشمل ، فإذا وقع العقاب حينئذٍ لم يجد أحد من المعاندين سبيلاً للنجاة .

---

(١) المصحف والسيف ، لمحيى الدبن القابسي ، ص ٧٤ .

« وأَطْمَعَهُمْ – أي : بعض الخارجين على الدولة – بعبد العزيز تريُّثُه في التصدي لهم ، وما كان تريثه إلا اضطراراً ، كان أشد ما يخشاه أن يفلت العصاة أو زعماؤهم من بين يديه قبل أن يقضي عليهم قضاء لا قيام لهم بعده ، وخطته أن يحصرهم في داخل حدوده ، ولا سبيل إلى حصرهم ما لم يطمئن إلى أن بوادي الحكومات المجاورة وحواضرها ستغلق أمامهم »[1].

٦ – الكتمان :

من مأثور كلام العرب : « استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان » والقائد أحوج إلى الكتمان من غيره ، وقد كانت هذه الخصيصة أو هذه السِّمَةُ بارزة في شخصية عبد العزيز القائد .

« وإلى جانب الصلابة، والشجاعة، والمعرفة، في شخصية القائد عبدالعزيز آل سعود ، اتسم جلالته بصفات أخرى ؛ كان لها أثرها الكبير في نموذجية قيادته ، نذكر منها : الكتمان ؛ الذي اعتبر من لوازم العمليات الحربية، ومن صفات القادة الكبار »[2].

فكان في حروبه حريصاً على الكتمان ، وعلى أن يحبس نِيَّاتِه في مطاوي صدره، مع حرصه على تصميم خططه برويَّة ودقة وتثبُّت وحسن تدبُّر في الواقع ، والعقبات والآثار المتوقَّعة .

٧ – السخاء والكرم :

العلاقة بين القيادة والسخاء حقيقة مقررة؛ فهذا حبر الأمة عبدالله

---

(١) الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، لخير الدين الزركلي ص ١١٧ .

(٢) عبدالعزيز آل سعود وعبقرية الشخصية الإسلامية، للدكتور عبدالعزيز شرف، ومحمد شعبان، ص٣٠٢

ابن عباس – رضي الله عنهما – يقول : (سادات الناس في الدنيا الأسخياء ، وسادات الناس في الآخرة الأتقياء) وكان الملك عبد العزيز مفطوراً على الكرم والسخاء، متحلياً بالتقوى .

فعلى الصعيد العربي والإسلامي ، يقول الدكتور معروف الدواليبي : « يلاحظ المنصف أن الملك عبد العزيز – رحمه الله – ، وأولاده من بعده ، حرصوا على أن تكون المملكة العربية السعودية لجميع المسلمين ، ولذلك شواهد ، منها أنه عندما كنت رئيساً لوزراء سوريا قدمت إلى الملك عبدالعزيز – رحمه الله – شارحاً له وضع البلاد ، وحاجتها للدعم المادي ؛ للوقوف في وجه التهديدات الصهيونية والشيوعية ، وكان ذلك في وقت كان الوضع الاقتصادي للمملكة صعباً ، فلما استمع – رحمه الله – إليَّ ؛ قال لي : أَبْشِر.

وقام – رحمه الله – بالاستلاف من شركة التابلاين على الميزانية القادمة، فمن يفعل ذلك غير رجل ؛ شغلته هموم المسلمين جميعاً؟ »(١) .

وفي حادثة على المستوى المحلي : « ما كاد موكب جلالته يواصل السيْر في صميم الصحراء وجوفها الطويل ، حتى كان أول مشهد رأيناه هو منظر سيارة كبيرة من سيارات الحَمْل ، تقف إلى جانب من الطريق ، بحالة تدل على ما بها من عطل ، وإلى جانبها سائقها البائس ، الذي طوحت به المقادير إلى ذلك الموقف التعس .

---

(٢) الدكتور معروف الدواليبي ، في وثيقة خصّ بها الباحث

لقد أوقف حضرة صاحب الجلالة سيارته ، فوقفت لأجلها عشرات السيارات الملحقه بمعيتها ، والركب ، ومن في الركب ، وصاح على السائق فناداه : ما بك ؟ فقال له : لقد نفد ما معي من الوقود والماء ، فأمر جلالته من في معيته من الخدم بإعطائه ما يكفيه من الوقود والماء ، وأمر بإعطائه بعض المال ليصلح به شأنه ، بعد أن سأله عن أحواله ، وعن الأسباب التي أودت به إلى ذلك ، ومن أين أتى ، وإلى أين هو ذاهب؟ »[1] .

٨ - الحلم والصبر والأناة :

الحلم والأناة والصبر من عالي الأخلاق الفاضلة التي يحبها الله ورسوله، قال تعالي عن الصبر : ﴿**وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾**﴾[2] وقال النبي – صلي الله عليه وسلم – للأشج ؛ أشج عبدالقيس: « إن فيك خصلتين يحبُّهما الله : الحلم والأناة »[3] .

وقد كان الملك عبد العزيز جامعاً هذه الأخلاق الفاضلة الثلاثة ، ليس الصبر فحسب ، ولكنه صبر ممزوج بأناة وحلم وحسن تدبير ، يكفيك للدلالة عليه هذه القصة مع أحد الحجاج الذين قدموا للسلام عليه .

---

(١) الملك عبد العزيز ، سيرة لا تاريخ ، لفؤاد شاكر ص ٩٩ .

(٢) سورة آل عمران ، آية : ١٤٦

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان .

« وتقدم ذلك الحاج للسلام على جلالته ، وحدثت المفاجأة ، المذهلة ، التي لم نستطع معها أي تصرف ، فقد وضع الرجل كفه في كف الملك ، وبدأ ينشد قصيدة مكتوبة في ورقة ، ولا تقلّ أبياتها عن مائة بيت ، ومما زاد سماجة الموقف أن الرجل كان سيء الإنشاد ؛ لأنه لا يحسن العربية ، والملك واقف، وحوله ذلك الجمع الحاشد من الضيوف، وكلهم وقوف في شيء من السأم والملل والضجر ، قلت : إننا لم نستطع التصرف في بعض المواقف ، وهذا واحد منها ، تركنا الأمر لجلالته يتصرف فيه .

وببداهة عبقرية ، ابتسم جلالته للشاعر الهندي الشيخ ، وبادره بدعابة حلوة، وقال له : لمن هذه القصيدة ؟ فارتبك الرجل قليلاً ، وقال: إنها لي ، فقال الملك : وقلتها لمن؟، قال : قلتها في جلالتكم ، وهي لكم ، فبادره عبدالعزيز بابتسامة حلوة رقيقة أخرى ، وقال له: هاتِ إذن القصيدة، مادامت لي ، وأنا صاحبها ؛ لكي أقرأها على مهل في بيتي ، فناوله الرجل إياها ، وانقضت الأزمة ، وتتابع الضيوف في السلام على جلالته ، والانصراف »(١) .

٩ - الاعتراف الجريء بالتقصير :

لا يملك الجرأة في الاعتراف بمسؤوليته عن تقصير تابعيه ، وأهمية الحزم في علاجه غير أعالي الرجال عقلاً وحكمة وتدبيراً ، فهذا خُلُقٌ من أخلاق القادة العظام ، ولا سيما رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

---

(١) الملك عبد العزير ، سيرة لا تاريخ ، لفؤاد شاكر ص ٦٧ .

وصحابته الكرام رضي الله عنهم ، وقد كان عبد العزيز من أولئك القادة العظام ، الذين كان لهم قصب السبق في هذا المجال ؛ فكان مضرب المثل في هذا لشعبه .

تأمل قوله : « إن التقصير واقع وأنا مسؤول عنه ، ولا أستطيع أن أهمل هذا الأمر، وقد كلفت بالبحث فيه حيناً هيئة الشورى، وحيناً هيئة التحقيق، ولكننا لم نصل إلى نتيجة حاسمة ، فيجب أن تنظروا في هذه الأمور »[1] .

والاعتراف بالمسؤولية عن التقصير لا تكون له ثمرة ، ما لم يَتْبَعْهُ عملٌ يثبت صدقه، والهدف منه ، وقد شهد التاريخ بصدق عبدالعزيز، وبجدِّه في هذا المجال « كتب حاج سنة ١٣٧٢هـ : بينما كنت داخلاً من الباب المجيدي ، في الحرم النبوي ؛ لزيارة المصطفى صلى الله عليه وسلم ؛ لفت نظري لوحة إعلانات معلقة على جدار المسجد ، وفيها الإعلان الآتي نصه :

« من عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود إلى شعب الجزيرة العربية : علي كل فرد من رعيتنا يحس أن ظلماً وقع عليه أن يتقدم إلينا بالشكوى، وعلى كل من يتقدم بالشكوى أن يبعث بها ، بطريق البرق ، أو البريد المجاني على نفقتنا .

وعلى كل موظف بالبريد أو البرق، أن يتقبل الشكاوى من رعيتنا، ولو كانت موجهة ضد أولادي أو أحفادي أو أهل بيتي .

---

(١) المصحف والسيف ، لمحيي الدين القاسي ، ص ٦٧

وليعلم كل موظف يحاول أن يثني أحد أفراد الرعية عن تقديم شكواه، مهما تكن قيمتها ، أو يحاول التأثير عليه ؛ ليخفف من لهجتها ، أننا سنوقع عليه العقاب الشديد .

لا أريد أن أسمع عن مظلوم ، ولا أريد أن يحمِّلني الله وزر ظلم أحد، أو عدم نجدة مظلوم، أو استخلاص حق مهضوم) ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد »[1].

١٠- البشاشة :

البشاشة من جالبات المحبة والمودة والإقبال ؛ فهي للقائد خصيصة مهمة ؛ ولذا لم يصح أن تكون مقصورة على الخاصة فحسب، وإنما الصواب أن يبذلها القائد لكل أحد .

« قلما كان عبد العزيز يتحدث إلا والبشاشة على وجهه، يكره العبوس ويأبى أن يتسم بسمات الجبارين ، ويحب النكتة ويضحك لها إذا جاءت في وقتها ويرويها .

لا يخص بها حاشيته وخاصته ، بل كثيراً ما يتخلل مفاوضاته مع رجال السياسة مَثَلٌ يضربه لنكتة فيه ، أو بيت شعر يتمثل به ؛ فيتحول المجلس من تجهُّم وغموض وفتور ، إلى حركة وصراحة وبشاشة »[2] .

---

(١) الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، لخير الدين الزركلي ، ص ١٨٧

(٢) الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، لخير الدين الزركلي ، ص ١٨٨ .

المبحث الثاني

إعداد الرجال ، وبناء مؤسسات الدولة

أولا - إعداد الرجال :

يمكن القول : إن الملك عبد العزيز كان ينظر إلى الإنسان في المجتمع على أنه ركن من أركانه ، وحجر الزاوية في تقدُّمه . وهذه النظرة أو القناعة جعلته يتجه إلى إعداد رجال وطنه لتحمل مسئولياتهم الجسيمة تجاه دينهم وأمتهم أولاً ، وتجاه بلدهم ثانياً .

«إن الفراغ في جزيرة العرب من كل وسائل المدنية والحضارة وَجَدَه عبدالعزيز عائقاً ، لا تتكون معه دولة كبيرة ، ولا تدوم معه وحدة قوية، ولايستطيع إنسانها أن يبرز إلى وجودٍ في هذه الدنيا دون أن يكون مسلحاً بكل وسيلة حضارية في هذه الدنيا ، يصون بها نفسه ، يعين بها إخوته ، يحرس بها تراثه»(١) .

وتفسير الملك عبد العزيز لكلمة التراث، هي «الدين» ؛ ولذا كان منهجه في إعداد الرجال منهجاً حكيماً ، يمكن تبيُّن أهم ملامحه فيما يأتي :

١ - الإعداد الإيماني والمعنوي :

كان الملك عبدالعزيز يكرر القول عن هذا الجانب من الإعداد، وكان يستخدم وسيلة الإقناع ؛ للوصول إلى غايته هذه بحكمة وعبقرية .

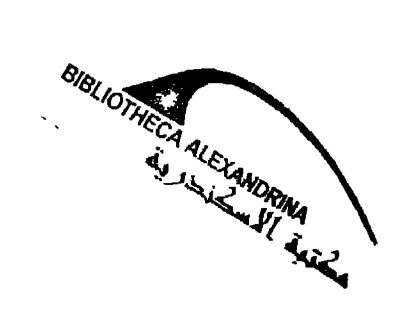
وكان يكرر القول في أهمية هذا الجانب حتى يرسخ في الوجدان .

أ - العناية بالثوابت :

كان الملك عبد العزيز حريصاً على تأكيد الثوابت والمسلَّمات التي

---

(١) عبد العزيز والكيان الكبير ، لمحمد حسين زيدان ، ص ٨١ .



يعرفها المخاطبون مذكِّراً بها ؛ لترسيخها في النفوس ، فلا تكاد تخلو خطبة من خطبه من الإشارة إلى منهجه هذا، ولا يكاد ينساه في حديث من أحاديثه العامة أو الخاصة أو دواوينه مع ضيوفه وزائريه .

يقول : « إن ابن آدم بشر ، ويستحيل على الإنسان أن يكون شيئاً يذكر، إلا أن ينال عناية من الله تعالى ، وعنايةُ الله لا تكون إلا لمن اتبع أمر الله تعالى . ومَن وفقه الله ، وكان في كنف الله ، وفي عنايته كان النصر حليفه بدون شك »[1] .

ب - بّثُّ الثقة في النفوس واستجلاب القوة المعنوية .

كان الملك عبدالعزيز حريصاً في إعداده لرجاله على أن يعطيهم من الثقة ما يكون دافعاً لهم على الجد في العمل ، والإبداع فيه ، ولكنه حريص كذلك على أن تكون هذه الثقة موجودة داخل محيط دائرة نظام الحكم الإسلامي .

« إنكم تعلمون أن أساس أحكامنا ونظامنا هو الشرع الإسلامي ، وأنتم في تلك الدائرة أحرار في سنِّ كل نظام ، وإقرار العمل الذي ترونه موافقاً لصالح البلاد ؛ على شرط ألا يكون مخالفاً للشريعة الإسلامية »[2] .

وهو يؤكد هذا المعني ، ويعيد بث الثقة في النفوس في كل مناسبة، مقرباً المسافة بينه وبين شعبه في رحاب ثقة متبادلة فيقول:

---

(١) المصحف والسيف ، لمحيى الدين القابسي ، ص ٦٣ .

(٢) المصحف والسيف ، لمحيي الدين القابسي ، ص ٥٩ .

«أنا قوي بالله تعالى ، ثم بشعبي ، وشعبي كلهم ، كتاب الله في رقابهم ، وسيوفهم بأيديهم ، يناضلون ويكافحون في سبيل الله ، ولست أدعي أنهم أقوياء بعَدَدِهم ، أو عُدَدِهم ، ولكنهم أقوياء - إن شاء الله - بإيمانهم[1]» .

ج - نبذ الخلافات ومحاربة الانقسامات الفكرية :

كان الملك عبد العزيز مدركاً أن إعداد الرجال لا يستقيم بنيانه وتصلح أركانه ، إلا بتوحيد القلوب والأهداف ؛ لذلك حرص على التحذير من الخلافات، والانقسامات، وحرص على محاربتها إذا دعت الحاجة بالحكمة .

« ومن المسائل التي يجب أن نعمل بها في هذا الشأن ، وتعد في طليعة خدمة الدين الحنيف ؛ هي تطهير الإسلام من أدران الخلافات التي عَلِقَت بالدين ، وهو بريء منها ، وإنما ألصقها فيه أناس نفعيون ، يبتغون من وراء ذلك النفع المادي »[2].

٣ - الإعداد المادي :

لم تغب عن فطنة الملك عبد العزيز أهمية القوة المادية في عملية إعداد رجاله ، فكان يؤكد على هذا الجانب ، ويعتني به ، ويحرص على ترسيخ مفهومه في نفوس رجاله .

أ - الحرص على ضوابط الإعداد المادي :

حرص الملك عبد العزيز على الإعداد المادي لرجاله ، ولكنه اعتناء

---

(١) الوجير في سيرة الملك عبد العزيز ، لخير الدين الزركلي ، ص ١٨٦ .

(٢) المصحف والسيف ، لمحيي الدين القابسي ، ص ٦١ .

مضبوط بالقناعة الأساس ، وهي ضرورة الاحتفاظ بالشخصية الإسلامية ، والاعتزاز بالكيان الإسلامي المتميز .

يقول الملك عبد العزيز : « إن الله أمرنا أن ننظر في كل أمر من أمورنا، وألاّ ندخر جهداً في المحافظة على كياننا ، قال تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾[1] .

الدنيا درجات ، ولو درسنا حالة الأوربيين وجدنا أنهم يعتصمون بالحديد، والكهرباء ، وما شاكلها – أي : ويعتمدون عليها وحدها من دون الله – أما نحن فإننا نعتصم بحبل الله تعالى، ومن اعتصم بالله فهو حسبه[2] » .

إن الملك عبد العزيز بهذا يؤكد حقيقة ، طالما جاهد من أجل تحقيقها، ومن أجل الدفاع عنها إذا اقتضى الأمر ذلك .

ب – استجلاب القوة المادية :

أدرك الملك عبد العزيز أهمية العمل في حياة الرجال وفي بناء الدولة، بل ولمصلحة الأمة ، ولم تكن نظرة الملك عبد العزيز الثاقبة إلى العمل لتقف عند حدود أهميته فحسب ، ولكنه أبان عن أنه مدركٌ أهمية إتقان العمل والتعاون فيه ، ومدركٌ أن الخمول والكسل لهما عواقب وخيمة في حياة الفرد والمجتمع .

يقول مؤكداً هذا الإدراك : « يجب أن تحرصوا على العمل ، والعمل لا يكون إلا بالتساند والتعاضد وإخلاص النية ، والإنسان

---

(١) سورة الأنفال ، آية ٦٠ .

(٢) المصحف والسيف ، لمحيي الدين القاسمي ، ص ٦٢ .

وحده لا يستطيع أن يعمل ، وإذا عمل فيكون عمله ضعيفاً . . . ، والإسلام يحضنا على العمل : ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾[1] .

ويجب أن يكون العمل خالصاً لله، لا رياء فيه ولا نفاق ولا غش ولا خداع، وإنكم، والله ، إذا عملتم فستنجحون ، وإن العمل يفيدكم، ويفيد بلادكم وشعبكم ، ويقربكم من الله ، ولا يوجد شيء أحسن من هذا . . .

فابذلوا كل ما في وسعكم لذلك ، وهذه أرض الله واسعة فاسعوا في مناكبها، ولا تركنوا للكسل والخمول ؛ فإن عاقبتهما وخيمة »[2] إنها دعوة للعمل الجاد الذي تحرسه نية صادقة .

ج - الحكمة ضالة المؤمن :

أكَّد الملك عبد العزيز في كثير من المواضع على شمول نظرته ، وعمق إدراكه ، فكان حريصاً في إعداده رجاله على الإفادة من النافع الذي لايتعارض مع دينه ، ولا يُلحِقُ ضرراً بوطنه .

يقول الملك عبدالعزيز: « لا مانع من أن نأخذ من غيرنا المفيد، (فالحكمة ضالة المؤمن[3])، يلتقطها حيث وجدها، وقد كان للعرب في جاهليتهم خصال حميدة، وكان لغيرهم أيضاً ، فجاء الإسلام فأقرها، وقال صفوة الخلق - اللهم صلِّ وسلِّم عليه -: (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق[4]) »[5] .

---

(١) سورة التوبة ، آية : ١٠٥ .

(٢) انظر : المصحف والسيف ص ٧٢ و ٧٣ باختصار ، دون حذف أو زيادة في المنقول .

(٣) سنن الترمذي في كتاب العلم ، وسنن ابن ماجة في كتاب الزهد .

(٤) مسند الإمام أحمد ، مسند باقي المكثرين ، وموطأ الإمام مالك في كتاب الجامع .

(٥) المصحف والسيف ، لمحيي الدين القابسي ، ص ٧٦ .

فالحكمة في عرف عبد العزيز إنما تورث قوة وعزة ، لا نقصاً ومذلة .

د - المحاسبة :

وضع الله للملك عبد العزيز في النفوس مهابة ، وكان مع ما يعرفه عن أثر هذه المنحة من الله حريصاً على أن يلقي في روع كل عامل من رجاله أنه سيحاسب عن التقصير المتعمَّد .

فكان الخوف من هذه المحاسبة ، وما معها من التهديد بالعقاب ، بل إيقاعه عند ظهور موجبه دافعاً للجد في العمل وإتقانه ، ومناخاً ملائماً للرعية ؛ لينعموا بالسكينة والطمأنينة .

يقول الملك عبد العزيز مخاطباً المؤتمر الوطني المنعقد في شهر محرم من عام ١٣٥٠هـ : « والآن ألفت نظركم إلى أنكم أنتم المسؤولون ، عند الله ، ثم عندي وعند الأمة ، فيجب أن تقدروا هذه المهمة حق قدرها ، وتعملوا لها بما فيه النفع »[١] .

« اتصل بالملك عبد العزيز : أن برقية شكوى تأخر وصولها إليه ، أو وصلت مقتضبة ؛ خوفاً من نفوذ المشكو منه ، فعاقب المسؤول ، وأصدر الإرادة الملكية التالية :

كل شكاية ترفع لنا عن طريق البرق أو البريد من أي شخص كان ، يجب أن ترسل لنا بنصها ، ولا يجوز تأخيرها، ولا إخبار المشتكى منه ، سواء أكان أميراً أو وزيراً أو أدنى أو أكبر من ذلك »[٢] .

---

(١) المصحف والسيف ، لمحيي الدين القابسي ، ص ٦٨ .

(٢) الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، لخير الدين الزركلي ، ص ١٨٧

ووضع الملك عبد العزيز ما يشبه النظام الملزم ؛ لتنظيم علاقته بالرعية من أجل الاطلاع على معاناتها ، وأسباب شكاويها ، ولتحديد المسؤولية ونطاقها ؛ كي تكون المحاسبة عادلة .

فجاء في منشور عام موجَّه من الملك لرعيته ولموظفيه : « وعلى كل موظف بالبريد أو البرق أن يتقبل الشكاوى من رعيتنا ؛ ولو كانت موجهة ضد أولادي أو أحفادي أو أهل بيتي .

ولْيعلم كل موظف يحاول أن يثني أحد أفراد الرعية عن تقديم شكواه مهما تكن قيمتها ، أو يحاول التأثير عليه ؛ ليخفف من لهجتها ، أننا سنوقع عليه العقاب الشديد »[1] .

هـ - توطين البادية :

إن أدق وصف لجهود الملك عبدالعزيز في مجال « توطين البادية » أنها إنجاز هو أقرب إلى الإعجاز ؛ لأنه تغيير نمط حياة أمة من الناس ، تعودت على أنماط مضادة لما يريد تغييرها إليه ؛ لمصلحتها ولمصلحة المجتمع والوطن.

وكان تعامل الملك عبد العزيز في مجال توطين البادية يقوم على ثلاثة أسس ، يأخذ بعضها برقاب بعض ، حتى وصلت به إلى النجاح المنشود بتوفيق الله تعالى له .

الأساس الأول : تصحيح العقيدة ؛ إذ إن غالب مجتمعات البادية آنذاك تجهل كثيراً من أمور العقيدة ، فعُنِيَ الملك عبد العزيز بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وخصص لذلك علماء يجوبون الهجر .

---

(١) الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، لخير الدين الزركلي ، ص ١٨٧ .

الأساس الثاني : مراعاة الجانب الأمني ، ولا سيما في مجتمع البادية الذي لا يعرف – غالبه – الانضباط الأمني ، فاستفاد مما جبل عليه البدوي من الأخلاق الفاضلة ؛ كالشجاعة ، والغيرة ، وجعل من القوة وسيلته لنشر الأمن والسكينة ، ولردع المتمرد .

الأساس الثالث : توفير وسائل الاستقرار ، ولا سيما الماء الذي كان الفرد عاجزاً – بجهده الذاتي وحتى مع مجتمعه البدوي الصغير – على توفيره لشربه ولسقيا دوابه فضلاً عن زراعته .

ثانيا - بناء مؤسسات الدولة :

حرص الملك عبد العزيز منذ أن وضع خطواته الأولى في درب تأسيس المملكة العربية السعودية على أن ينشىء دولة قوية الأركان ، متماسكة الجوانب، مرهوبة الجانب ، فكان لا بد أن يلتفت إلى بناء مؤسسات الدولة بما يحقق مصلحة مجموع الأمة .

« أول عهد المملكة العربية السعودية بالوزارات بمعناها المعروف، يرجع إلى ما بعد دخول مكة ، وتسلم جدة والمدينة سنة ١٣٤٤هـ (١٩٢٥م) حين بدأ التفكير في تنظيم الدولة ، ووضع التشكيلات لها على القواعد والأساليب الحديثة ، وكانت تسمى «المملكة الحجازية النجدية وملحقاتها» .

أما قبل ذلك ، ما بين استرداد الرياض ودخول جدة ، فكان «ديوان الشيوخ» هو وحده المتولي أعمال ما يسمى فيما بعد «الوزارات»، ومرجعه المباشر رأس الدولة الأعلى (عبدالعزيز) »[1].

---

(١) الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، لخير الدين الزركلي ، ص ٩٣ .

ويمكنني القول – استقراءً واستنطاقاً –: إن بناء مؤسسات الدولة اتسم بأنه يجيء دوماً في الوقت التي تظهر الحاجة ماسة إليه ، ولا سيما أن جهود الملك عبد العزيز الرامية إلى تثبيت أركان الدولة ، وتوحيد أجزائها ، وتأمينها من خصومها ، قد استغرقت عملاً شاقاً ووقتاً طويلاً .

والاستعراض التاريخي لنشأة تلك المؤسسات، وظروف نشأتها، ودوافعه، يضاف إلى ذلك الظروف الاقتصادية الصعبة التي كانت تمر بها الدولة السعودية ؛ نتيجة الظروف الدولية السائدة آنذاك ، فكل ذلك يَدُلُّكَ إلى صعوبة عملية البناء وشموخها .

لقد قامت نظرة الملك عبد العزيز الإدارية على تجميع الأعمال المتشابهة في إدارة واحدة وفق الحاجة لها، ومن ثم تكونت الوزارات لاحقاً من تلك الدوائر.

فعن تاريخ نشأة مؤسسات الدولة[1] نجد أن وزارة الخارجية نشأت نشوءاً تدريجياً، متناسباً مع تطور العلاقات بالدول الإسلامية والدول الأجنبية، فبعد دخول جدة أنشىء في مكة مكتب رسمي لإدارة شؤون الخارجية، واستمر عمل هذا المكتب، حتى صدر أمر ملكي في رجب ١٣٤٩هـ (أواخر ١٩٣٠م) يقضي بتحويله إلى وزارة، وعيِّن الأمير فيصل بن عبد العزيز وزيراً لها، وهي أول وزارة أُحدثت بصفة رسمية .

---

(١) انظر في تفصيل ذلك مثلا : الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، لخير الدين الزركلي ، ص ٩٤ وما بعدها ، وهو المرجع الأساس لهذه الفقرة ، وتنظيمات الدولة في عهد الملك عبد العزيز للدكتور إبراهيم العتيبي ص ١٢٣ وما بعدها ، ومعجزة فوق الرمال ، لأحمد عسة ص ١١٠ والتنظيم الإداري في المملكة العربية السعودية للدكتور عبد المعطي عساف ص ٦١ وما بعدها . والملك عبدالعزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي، للدكتور سعود بن دريب ص ٥١ وما بعدها .

ووزارة المالية بدأت تحت اسم « مديرية المالية العامة » بمكة ، عام ١٣٤٦هـ (١٩٢٧م) ثم وكالة عام ١٣٤٨هـ (١٩٢٩م) حتى أصبحت وزارة عام ١٣٥١هـ (١٩٣٢م) .

ووزارة الصحة كانت في بدء إنشائها « مصلحة الصحة العامة » بمكة سنة ١٣٤٣هـ (١٩٢٥م) وأنشئت لها فروع في مختلف المناطق ، بحسب الحاجة . حتى صدر الأمر الملكي سنة ١٣٧٠هـ (١٩٥٠م) بتحويلها إلى وزارة .

وعلى ذات المنوال أُنشئت وزارة الدفاع سنة ١٣٦٢هـ (١٩٤٣م) وزارة الداخلية سنة ١٣٧٠هـ (١٩٥٠م) ووزارة المواصلات، ووزارة المعارف، ووزارة الزراعة سنة ١٣٧٣ هـ (١٩٥٣م) .

ولا ريب أن إنشاء البلديات ، والمحاكم ، بتشكيلاتها وما يتبعها ، وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومديرية البترول والمعادن ، ونحوها من المؤسسات الحكومية ، كل ذلك خضع لنظرة الملك عبد العزيز إلى التنظيم الإداري ، وقد تبين أنها نظرة تقوم على دراسة الحاجة إلى تلك المؤسسات ، وثبوت جدواها .

وكان مجلس الوكلاء هو نواة مجلس الوزراء ، فبعد تطور التشكيلات الإدارية، وتأسيس الوزارات، ظهرت الحاجة إلى إدارة مركزية ؛ فصدر الأمر الملكي القاضي بتأسيس مجلس الوزراء في ١/٢/١٣٧٣هـ (١٠/١٠/١٩٥٣م) .

وهكذا لم يغادر الملك عبد العزيز هذه الدنيا إلا بعد أن أكمل تأسيس دولة موحدة ، قوية في إعداد رجالها وفي بناء مؤسساتها .

المبحث الثالث

مشاورة العلماء وذوي الخبرة

لم يكن الملك عبد العزيز مع الذين يستبدون برأيهم ، وإن كان يعلم أن عنده القدرة على سبر غور كل موقف وتوقع أثره ، ولكنه كان يعلم – كذلك – أن استجلاب الرأي الحكيم من العلماء وذوي الخبرة أجدى وأنفع وأصوب .

« ومنذ توحيد المملكة العربية السعودية على يد القائد المؤسِّس – الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود – حظِي العلماء في كنف هذه الدولة بكل تقدير وتكريم » (١) .

ومن خلال تأملي في خطب الملك عبد العزيز – وسيرته ، وجدت أن علاقة الملك عبد العزيز بالعلماء وذوي الخبرة تقوم على أسس متينة؛ كان يراعيها بدقة متناهية ، ولعل أهمها :

١ – المصارحة والمناصحة :

قامت الدولة السعودية منذ تأسيسها على أساس تحكيم شرع الله، فلا عجب إذا حظي العلماء بمنزلة عالية عند الملك عبد العزيز ، ولكنها منزلة تقوم على المصارحة والمناصحة ، وهدفها : تحديد المسؤولية ، وحفز الهمم ، والتعاون على البر والمصلحة .

ها هو يقول : « وأنتم أيها العلماء ، اذكروا أن الله سيوقفكم يوم العرض ، وستُسألون عما سُئِلتم عنه اليوم ، وعما ائتمنكم عليه المسلمون ، فأبدوا الحق في كلِ ما تسألون عنه ، لا تبالوا بكبير ولا صغير ، وبيِّنوا ما أوجب الله للرعية على الراعي ، وما أوجب للراعي على الرعية في أمور الدين والدنيا . . .

(١) المملكة العربية السعودية ، الشريعة الإسلامية تحكم ، للدكتور مبير هارون ص ٢٢٥ .

إياكم أيها العلماء ، أن تكتموا شيئاً من الحق ؛ تبتغون بذلك مرضاة وجهي ، فمن كتم أمراً يعتقد أنه يخالف الشرع فعليه من الله اللعنة، أظْهِروا الحق ، وبيِّنوه ، وتكلموا بما عندكم »[1] .

وأساس المصارحة عند عبد العزيز هو : البحث عن الحقيقة ، الحقيقة وحدها ، دون زخرف أو وهم ، فيقول مخاطباً ذوي الخبرة ؛ لتأكيد دعوته إلى تأسيس مجلس الشورى : « أما أنا فلا أريد من هذا المجلس الذي أدعوكم لانتخابه أشكالاً وأوهاماً ، وإنما أريد شكلاً حقيقياً ؛ يجتمع فيه رجال حقيقيون يعملون جهدهم في تحري المصلحة العامة .

لا أريد أوهاماً ، وإنما أريد حقائق ، أريد رجالاً يعملون ، فإذا اجتمع أولئك المنتخبون ، وأَشْكَل عليَّ أمرٌ من الأمور ، رجعت إليهم في حَلّه ، وعملت بمشورتهم ، وتكون ذمتي سالمة من المسؤوليات »[2] .

٢ - صحبته لهم في الحضر والسفر :

« كان للملك مجلس يومي بين الخاص والعام ، يبدأ بعد صلاة العشاء ، يُفتتَح هذا المجلس بالدرس ؛ بأن يَفتَح القارىء كتاباً ، ويقرأ فيه فصلاً بعد الفصل الذي قرأه في الدرس السابق ، ثم يغلقه ويقرأ فصلاً من كتاب آخر ...

---

(١) انظر : الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، لخير الدين الزركلي ، ص ١١٥ .

(٢) الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، لخير الدين الزركلي ، ص ١٦١ .

ولما خرج الملك عبد العزيز ، قاصداً مكة ، في ١٣ ربيع الثاني سنة ١٣٤٣هـ خرج وبرفقته بعض العلماء »[١] .

٣ – الوصية بالعلماء :

لم تكن العلاقة بين الملك عبد العزيز ، والعلماء علاقة وقتية ، يحكمها ظرف محدد ، ولكنها رسوخ في الوجدان وقناعة تامة ؛ يؤكد ذلك أن الملك عبد العزيز في وصيته لولي عهده الملك سعود حرص على الوصية بالعلماء :

« أوصيك بعلماء المسلمين خيراً، احرص على توقيرهم، ومجالستهم، وأخذ نصيحتهم، واحرص على تعليم العلم ؛ لأن الناس ليسوا بشيء إلا بالله، ثم بالعلم، ومعرفة هذه العقيدة: (**احفظ الله يحفظك**)[٢] »[٣] .

أي أن حبه للعلماء ، واحترامه لهم ظل هاجسه كل وقت .

٤ – محبته للمشاورة والنقاش :

كان الملك عبد العزيز محبّاً للنقاش والمحاورة ؛ ولذا كان تأسيسه لمجلس الشورى مبكراً في تاريخ تأسيس مؤسسات الدولة .

« كان دستور عبد العزيز ﴿ **وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ** ﴾[٤] ، يَعِنُّ له الأمر أو يُرفع إليه ، فيجيل فيه فكرته ، وينتهي إلى حل له في نفسه يرضاه ، ويجتمع مستشاروه ، فيطرحه عليهم ، ويدرسونه .

---

(١) انظر : الملك عبد العزيز ووضع قواعد التنظيم القصائي ، للدكتور سعود بن دريب ص ٢٨ .

(٢) هذا جزء من وصية النبي – صلى الله عليه وسلم – لابن عباس رضي الله عنهما ، وردت في سنن الإمام الترمذي ، كتاب صفة القيامة ، وفي مسند الإمام أحمد « مسند بني هاشم »

(٣) الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، لخير الدين الزركلي ، ص ١٥٩ .

(٤) سورة الشورى ، آية . ٣٨ .

فإذا اتجهوا إلى البتّ فيه بما يتفق مع ما وصل إليه هو، أخذ بقولهم وأمضاه ، وإلا ناقشهم - وأفضلُهم عنده من يعترض ويناقش - ثم يعمل بما يستقر عليه الرأي ، أما الدولة فلا بد من سنّ الأنظمة لها، وهي في إبان تكونها ، ولا بد من أهل الخبرة والعلم لسنّ تلك الأنظمة »[1].

٥ - الرجوع إلى الحق إذا ظهر له :

ليس من السهل على بشر - ناهيك عن زعيم حاكم - أن يتراجع عن رأي رآه ، حتى وإن تبين له - بَعْدُ - أن الحكمة والرشد في غيره ، فذاك خُلُقٌ صعب ، وعبد العزيز كان يفعل ذلك ، بل يعلنه للناس ، ويعلن - بجلاء - أن دافعه في إبداء الرأي ثم في التراجع عنه واحد؛ وهو المصلحة العليا للوطن والأمة ، ويحث العلماء وذوي الخبرة على إبداء النافع من الآراء ، والمفيد من الاقتراحات .

يقول الملك عبدالعزيز مخاطباً المؤتمر الوطني المنعقد بمنى في شهر محرم عام ١٣٥٠هـ : « وكذلك مسألة السيارات فلها أضرار ومنافع ، وقد كنا فكَّرنا في توحيدها وجعلها شركة واحدة ؛ اعتقاداً منا أن ذلك فيه المصلحة العامة ، ولكننا وجدنا أن ذلك ليس منه مصلحة ، فنطلب إليكم وضع طريقة مُثْلَى لهذه القضية ، يكون من ورائها النفع العام »[2].

---

(١) الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، لخير الدين الزركلي ، ص ١٦٠

(٢) المصحف والسيف ، لمحيى الدين القابسي ، ص ٦٨ .

المبحث الرابع

الأوليات في جهود الملك عبد العزيز العملية

كان من خصائص شخصية الملك عبد العزيز حرصه على التخطيط، وإيلائه العناية التامة والرعاية الكبرى . ومَنْ هذه خصيصته لا بد أن تكون له أوليات ؛ تسير في ضوئها جهوده العملية حتى لا تتشعب به السبل ؛ فيتأخر ما حقه التقديم أو يأتي تنفيذه قاصراً ، ويمكن التعرف على أهم هذه الأوليات في ضوء الأسس التالية :

أولا - الحرص على التضامن الإسلامي :

من السهل أن يعلن حاكم مسلم عن رغبته في جمع شمل المسلمين واجتماعهم وتضامنهم ، فهذه الرغبة قَدْرٌ مشترك عند المسلمين الغيورين على مصلحة دينهم .

ولكن التميز أن يسبق هذه الرغبة الكريمة إدراكُ ماهية هذا التضامن ، وحقيقته ، وأسبابه ، وأن تلتحق هذه الرغبة بالتخطيط السليم له ، وأن يواكبها العمل الجاد في التنفيذ ، وهذا ما فعله الملك عبد العزيز .

أ - إدراك حقيقة التضامن الإسلامي والتخطيط له :

لقد أعلن الملك عبد العزيز هذه الحقيقة ، وأبان عن ضرورة التخطيط لتنفيذها في واقع المسلمين ، فقال : « ليس لنا من المقاصد والغايات ، إلا أن تكون كلمة الله هي العليا . . .

ونحن نعاهد الله ، ونقسم أمامكم على ذلك ، وأننا لن نتنكب عن الطريق السوي مهما تحملنا من المتاعب والمشاق ، فإن الذي يجمع

شملنا ويوحِّد بيننا هو : أمر صغير في حد ذاته ، ولكنه كبير وعظيم ، وهو : الالتفاف حول كلمة التوحيد ، والعمل بما أمر به الله ورسوله .

إن أحب الأمور إلينا أن يجمع الله كلمة المسلمين ؛ فيؤلف بين قلوبهم ، ثم بعد ذلك أن يجمع كلمة العرب ؛ فيوحد غاياتهم ومقاصدهم ؛ ليسيروا في طريق واحد يوردهم موارد الخير .

وإذا نحن أردنا ذلك فلن نروم إتمامه في ساعة واحدة ؛ لأن ذلك يكون مطلباً مستحيلاً ، كما أننا لا نرمي من وراء ذلك إلى التحكم بالناس ، وإنما غايتنا أنه إذا لم يكن لنا من وراء هذا التضامن خير فلا يكون لنا من ورائه شر على الأقل »(١) .

ب – التنفيذ :

كان أول عمل عمله الملك عبد العزيز عند دخوله مكة المكرمة ، أن دعا المسلمين إلى اجتماع عام ومؤتمر شعبي ، واجتمع في قاعة القصر ممثلون من كل الأقطار الإسلامية ، مندوبون من العراق ، وإيران، ومصر، وزعيم السنوسيين من طرابلس الغرب، ومبعوثون من الحبشة، وأفغانستان ، وأذربيجان ، وشخصيات من الهند (٢) .

وفي عام ١٣٦٨ هـ افتتحت إذاعة المملكة العربية السعودية ، وجاء في الكلمة الملكية بهذه المناسبة ما يوضح أهدافها العليا ، ولا سيما

---

(١) انظر : المصحف والسيف ، لمحيي الدين القابسي ، ص ٩٢ .

(٢) انظر : عبد العزيز آل سعود ، سيرة بطل ، ومولد مملكة ، بنوا ميشان ، تعريب : عبد الفتاح ياسين ص ١٧٧

ترسيخ دعائم التضامن الإسلامي : « إنه ليسرُّنا أن نخاطب إخواننا المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها من هذا البيت الحرام ، في هذا اليوم المبارك ، ونتناصح ، ونتواصى بالبر والتقوى ، وندعو الجميع للتمسك بكتاب الله ، وإخلاص العبادة له وحده ، كما أمرنا ربنا : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾[1][2] » .

ثانيا - الاهتمام بقضية القدس :

المتأمل في موقف الملك عبد العزيز من قضية فلسطين سيجد أسساً وثوابتَ ؛ التزم بها الملك عبد العزيز في نظرته إلى هذه القضية، وسيصل إلى قناعة تامة بأنه كان حريصاً على استفراغ جهده واستغلال نفوذه ؛ لنصرة هذه القضية وفق محاور ؛ من أهمها :

أ – عمق النظرة إلى قضية فلسطين :

ينظر الملك عبد العزيز إلى قضية فلسطين على أنها قضية المسلمين جميعاً ، وليست قضية العرب أو الفلسطينيين فحسب ؛ إذ إن المسجد الأقصى في القدس هو مسرى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد صرَّح الملك عبد العزيز بهذه القناعة بأكثر من مقال في أكثر من مقام، ومن ذلك قوله : « إن قضية فلسطين قضية إسلامية عربية ، ولا يمكن لأي بلاد عربية أو إسلامية ، أو لأي حاكم عربي مسلم أن يغفلها أو يهملها ، من دون أن يعرض نفسه للانتقاد والتخطئة »[3] .

---

(١) سورة الفاتحة ، آية ٥ .

(٢) المصحف والسيف ، لمحيي الدين القاسي ، ص ١٣٩ .

(٣) المصحف والسيف ، لمحيي الدين القابسي ، ص ٢٣٨ .

ب – ترتيبها المتقدم ضمن الأوليات :

المتتبع لسيرة الملك عبد العزيز لن يعدم الأدلة التي تؤكد له أن قضية فلسطين شغلت حيزاً كبيراً من وقته واهتمامه ، وكانت لها أولوية خاصة عنده ، ورغم ذلك فهو يصرِّح بهذه الأولوية ؛ فيقول :

« إن مسألة فلسطين هي أهم ما يشغل أفكار المسلمين والعرب في هذه الأيام ، وهي المسألة التي يجب أن تكون موضع عناية الجميع ومدار اهتمامهم ، ومع أني لا أحب كثرة الكلام ، وأفضل على الدعاية العمل الصامت المثمر ؛ فإنني أقول بصراحة : إن السكوت عن قضية فلسطين لا يوافق المصلحة »[1] .

ج – العمل الجاد على مختلف الأصعدة من أجلها [2] :

وعمل الملك عبد العزيز لنصرة قضية فلسطين وأهلها ، كان عملاً حكيماً ومتنوعاً وشاملاً ، وقد عبَّر عنه أصدق تعبير بقوله : « سبق لي أن تكلمت مع أركان الحكومة البريطانية ، كما تحدثت مطولاً مع الرئيس روزفلت ، وذكرت بكل صراحة الحيف الذي أصاب إخواننا عرب فلسطين ، والإعنات والقهر اللذين خضعوا لهما، وطالبت ، وطلبت من الرئيس الراحل إنصاف عرب فلسطين ، وعدم مساعدة اليهود عليهم »[3] .

---

(١) المصحف والسيف ، لمحيي الدين القابسي ، ص ١٣٢

(٢) انظر لزيادة الفائدة : المملكة العربية السعودية وقضايا الصراع العربي الإسرائيلي ، للدكتور عبدالله الأشعل ص ٩٥ وما بعدها .

(٣) المصحف والسيف ، لمحيي الدين القابسي ، ص ١٣٢ .

وفي كل تطور لقضية فلسطين كان تفاعل الملك عبد العزيز ورد فعله سريعاً بالنصرة والتأييد ، والتعبير عن شعور المسلم الغيور على دينه وأوطانه .

« ثم إن جلالته لما بلغه بعد ذلك نبأ اعتداء نفر من اليهود ؛ بإلقاء قنابلهم على المصلين يوم الجمعة في المسجد الأقصى ، استنكر الحادث المؤلم ، وكتب كتاباً لملك بريطانيا في ربيع الثاني ١٣٤٨ هـ ، أعرب فيه عن تأثير هذا الحادث في نفسه ونفس شعبه ، وطلب المحافظة على شعائر دين المسلمين ، ومعاقبة المجرمين ، ومنع تكرر مثل ذلك الحادث الأليم »(١) .

ثالثا - تأسيس ودعم المنشآت الإسلامية :

لأن الدولة السعودية قامت على أساس ديني ؛ فقد حرص الملك عبد العزيز على تأسيس ودعم المنشآت الإسلامية في الداخل وفي الخارج ، ولم يكن يرغب في إعلان دعمه هذا ؛ احتساباً لله تعالى ، وإدراكاً منه أنه واجب ديني عليه ، وأن المهم الثمرة والنتيجة .

أكَّد الملك عبد العزيز هذه الحقيقة عندما خاطب أول دفعة من خريجي المعهد العلمي السعودي ، فقال : « أيها الأبناء ، إنكم أول ثمرة من غرسنا الذي غرسناه بالمعهد ؛ فاعرفوا قدر ما تلقيتموه من العلم ، واعلموا أن العلم بلا عمل كشجرة بلا ثمر ، وأن العلم كما يكون عوناً لصاحبه يكون عوناً عليه .

---

(١) الملك الراشد ، لعبد المنعم الغلامي ص ١٤٥ .

فمن عمل به يكون عوناً له ، ومن لم يعمل به يكون عوناً عليه ، وليس من يعلم كمن لا يعلم ، قليل من العلم يُبَارك فيه خير من كثير لا يُبَارك فيه ، والبركة في العمل »[1] .

رابعا - تحكيم شرع الله وسيادته :

كان الملك عبد العزيز حريصاً على الالتزام بتحكيم شرع الله ، وسيادته ، والحث على ذلك ، وبيان أنه من أوجب الواجبات الدينية ، وكان ذلك من أهم خصائص شخصيته ، كما تبين في المبحث الأول من الفصل الأول في هذا البحث .

يقول : « الحقيقة أن الإسلام هو اتباع كتاب الله تعالى ، وما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويقول تعالى : ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)** ﴾[2] . ﴿ **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (٤٤)** ﴾[3] .

وليس هناك شيء أَجَلّ من نعمة الإسلام على الإنسان ، فقد قال الله تعالى : ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾[4] .

---

(١) المصحف والسيف ، لمحيي الدين القاسي ص ٧٥ .

(٢) سورة النساء ، آية : ٦٥ .

(٣) سورة المائدة ، آية ٤٤ .

(٤) سورة المائدة ، آية : ٣ .

فتمام النعمة هو : كتاب الله تعالى ، الذي شرع به الإسلام ، وأول ما يلزمنا من الإسلام هو : كلمة الشهادتين »[1] .

خامسا - العلاقة بالعالم الإسلامي :

بنى الملك عبد العزيز علاقته بالعالم الإسلامي على أسس ثابتة من الأخوة الإسلامية ، وعدم الاعتداء على أحد ، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية لأي بلد .

١ - الإعلان عن مواد سياسته :

مع وضوح سياسة الملك عبد العزيز في أعماله الداخلية والخارجية، إلا أنه كان حريصاً على إفهام الناس بها ، وبدوافعها ، وبخلفيتها .

فكان يقول : « أنا لا أبرىء نفسي ، فذنوبي كثيرة ، أرجو من الله الرحمة والغفران ، وإنما غاية ما أرجوه أن أكون صادقاً في القول والعمل، وفي الباطن والظاهر .

وأنا وإن كنت ملكاً ، ولكنني أوقفت نفسي وعملي على ثلاث مسائل :

١ - أنني أعمل ما فيه الخير والصلاح لديني ، إن شاء الله .

٢ - ليس لي رغبة في معاداة أحد من المسلمين ؛ صغيراً أو كبيراً .

٣ - أنا لا أحب الاعتداء على أيٍّ كان ، وجُلُّ غايتي في كل وقت: الدفاع عن ديني ، وشرفي ، وبلادي ، وأُشهد الله في هذا الشهر المبارك على أنني أتمنى وأسعى للائتلاف والتصافي في كل وقت »[2] .

---

(١) المصحف والسيف ، لمحيي الدين القابسي ، ص ١٠٧ .

(٢) المصحف والسيف ، لمحيي الدين القابسي ، ص ٨٦ .

٢ - **الدعوة إلى اجتماع المسلمين :**

ترأس الملك عبد العزيز جلسة افتتاح المؤتمر العام الذي دعا إليه في مكة المكرمة يوم ٢٦ من ذي الحجة عام ١٣٤٤ هـ (١٩٢٦م) ووجَّه الملك عبد العزيز بالاستعداد للمؤتمر ، وتحديد الموضوعات المطروحة للنقاش فيه قبل انعقاده .

« وقام الملك عبد العزيز بتكليف السيد رشيد رضا برئاسة اللجنة المكلف بدراسة النظام الداخلي للمؤتمر ، ونجح السيد رشيد رضا في تحديد المسائل التي على المؤتمر بحثها »[١] .

والملك عبد العزيز في إطار علاقته بالعالم الإسلامي ، حرص على أن يكون حج كل عام مؤتمراً للمسلمين ، ودعوةً وقدوة إلى تحقيق أمن البلاد والعباد عن طريق تحكيم شرع الله ، كما فعل .

« وبذلك فقد أحسَّ كل مسلم يأتي للحج بنعمة الأمن التي يحققها تطبيق الشريعة الإسلامية ؛ التي جعلها عبد العزيز منهاجاً لحكمه ، فعاد كل منهم يشيد بما رآه ، ويمحو الصورة الذهنية السيئة التي علقت في أذهان المسلمين عقوداً طويلة ؛ لما يتعرض له الحجاج من عذاب في السفر ، وترويع لهم من قطاع الطرق ، فكان عمله الذي تناقله هؤلاء السفراء من الحجيج مدخلاً واسعاً ؛ لإرساء مكانته الإسلامية بين شعوب الأمة جمعاء ، ولتكون له الصدارة والزعامة من غير مزايدات ، ولكن بالإعجاب والمحبة والإكبار »[٢] .

---

(١) العلاقات بين الملك عبد العزيز والأشراف وضم الحجاز ، للدكتور خالد الهميل ص ٢٧٤ . وانظر جريدة أم القرى الصادرة في ٣٠ ذي القعدة ١٣٤٤ هـ .

(٢) الملك عبد العزيز ، رؤية عالمية ، للدكتور ساعد العرابي الحارثي ص ٤٤٥ .

الخاتمة

الحمد لله الذي وفَّقني لإتمام هذا البحث بجهدي الذي لاأزكِّيه عبر ثلاثة محاور :

المحور الأول : عن عصر الملك عبدالعزيز وحياته ، مع التركيز على تأثيرهما في شخصيته وقيادته، وبيان جهوده في تأسيس وتوحيد البلاد .

المحور الثاني : عن شخصية الملك عبدالعزيز الإنسانية ، مع تحليل خصائصها ، وتسليط الضوء على تسخيره حياته ونفوذه في خدمة الإسلام ، وحرصه على سلامة العقيدة ، ومقاومة الفكر المنحرف ، وتقوية الخاص الثقافي ، وقدرته على الانفتاح على العالم مع الاحتفاظ بشخصيته الإسلامية المتميزة ، وبيان منهجه في مخاطبة الناس بحسب أحوالهم ، والإشارة إلى أصناف الناس بحسب طبيعة عصره ، والأسس التي يراعيها عند مخاطبة المسلمين ومخاطبة غير المسلمين.

المحور الثالث : عن شخصية الملك عبدالعزيز القيادية ، مع تحليل خصائصه القيادية الفطرية ، والمكتسبة ، وبيان منهجه ، وأساليبه في إعداد الرجال ، وفي بناء مؤسسات الدولة ، والكشف عن طريقته في مشاورة العلماء وذوي الخبرة ، وبيان الأوليات في جهوده العملية ، ولا سيما حرصه الشديد على التضامن الإسلامي ، والاهتمام بقضية القدس والقضايا الإسلامية الأخرى ، وتأسيس ودعم المنشآت الإسلامية ، وتحكيم شرع الله وسيادته ، وجولاته في العالم الإسلامي .

وأجد أنه من إحقاق الحق أن أبين أنني عشت في رحاب شخصية الملك عبدالعزيز متأملاً ومتفاعلاً ، غير أنه قد تجيش في النفس

مشاعر ضخمة، إلا أنها حين تلبس ثياب «التعبير» تعود متكاسلة ؛ لأن هذه الثياب ليست طموح تلك المشاعر.

ربما تكون هذه الحال هي حالي ، بعد أن فرغت من تسجيل ما سجلته عن الملك عبد العزيز في هذا البحث المختصر عن هذا الإنسان الفذ .

لقد كان أملي أن يجد القارىء الكريم فيما كتبته عن الملك عبدالعزيز ما يجعله كأنه يعيش معه ؛ في عصره، وفي حياته اليومية.

فإذا قصر واقعي عن اللحاق بأملي ؛ فقد كنت أرجو أن أقدم للقارىء الكريم ما يجعله – في قراءة ما كتبته عن الملك عبد العزيز – كأنه يراه أمامه رأي العين .

فإذا عجزتُ ؛ فهذا هو جهدي ، على أنه إذا عجز البحار عن صيد اللؤلؤ ؛ فهل يصح أن يوصف البحر بأنه بخيل ؟

لقد كان الملك عبد العزيز قائداً فذاً ، وعبقرياً ، قلَّ أن تجد من يفري فريه ! وكان إنساناً نبيلاً ، يندر أن تجد مثله .

لو كان فيما كتبتُه شيء مما أَمَّلْتُه فيه ؛ لقلت بملء فيّ : « حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق » .

هذا ، وبالله التوفيق ،،،،

إبراهيم بن عبد الله السماري

الفهارس

(فهرس الآيات القرآنية الكريمة الواردة في صلب البحث)

(فهرس الأحاديث الشريفة الواردة في صلب البحث)

(فهرس أسماء الأعلام الواردة في صلب البحث)

(فهرس أسماء الأعلام الواردة في صلب البحث)

(فهرس المصادر والمراجع الواردة في هوامش البحث)

الكتب :

١ – أسد ، محمد أسد ، الإسلام على مفترق الطرق ، ترجمة : د. عمر فروخ ، دار العلم للملايين ، بيروت .

٢ – إسماعيل ، حلمي محروس إسماعيل ، تاريخ العرب الحديث من الغزو العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى ، نشر مؤسسة شباب الجامعة بالإسكندرية ، عام ١٩٩٧م .

٣ – الأشعل ، عبد الله الأشعل ، المملكة العربية السعودية وقضايا الصراع العربي الإسرائيلي ، ط ١ ، ١٩٨٩م ، جدة .

٤ – البسام ، حياة البسام ، ميزان القوى في الخليج العربي ، شركة ألوان بالرياض ، ١٤١٣ هـ .

٥ – الترمذي ، الإمام الترمذي ، سنن الترمذي ، بتحقيق : إبراهيم عطوة عوض ، ط١ ، ١٣٨٥ ، مطبعة الحلبي بمصر .

٦ – الحارثي ، ساعد العرابي الحارثي ، الملك عبد العزيز، رؤية عالمية ، دار القمم بالرياض ، ط٢ ، ١٤١٦هـ .

٧ – حمدان، نذير حمدان، مستشرقون، مكتبة الصديق بالطائف، ط١، ١٤٠٨هـ.

٨ – حمزة ، فؤاد حمزة ، البلاد العربية السعودية ، مكتبة النصر بالرياض ، ط٢، ١٣٨٨هـ .

٩ – حنبل ، الإمام أحمد بن حنبل ، المسند ، ط١، بتحقيق : أحمد شاكر.

١٠ – الخطيب ، عبد الحميد الخطبب ، الإمام العادل ، ط١ .

١١ – خليل ، عماد الدين خليل ، قالوا عن الإسلام ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض .

١٢ – داود، الإمام أبوداود، سنن أبي داود ، بتحقيق : محمد محيي الدين ، المكتبة العصرية ببيروت ، ١٤١٦هـ .

١٣ – دريب، سعود بن دريب، الملك عبدالعزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية، دار المطبوعات الحديثة، جدة، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٤– الدواليبي ، معروف الدواليبي ، وثيقة خُصَّ بها الباحث ، الرياض ، ١٤١٨هـ.

١٥ – دوزي ، رينهارت دوزي ، تاريخ مسلمي أسبانيا ، ترجمة : د. حسن حبشي، دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٣م .

١٦ – ديورانت ، قصة الحضارة ، ترجمة : محمد بدران ، وعبد الحميد مؤنس ، جامعة الدول العربية .

١٧ – الرشيد ، ضاري بن فهيد الرشيد ، نبذة تاريخية عن نجد ، كتبها وديع البستاني ، دار اليمامة بالرياض ، ١٣٨٦ هـ .

١٨ – الريحاني ، أمين الريحاني ، ملوك العرب ، المطبعة العلمية ، ليوسف صادر، بيروت ج ١ ١٩٢٤م، ج٢ ، ١٩٢٥م .

١٩ – الريحاني ، أمين الريحاني ، نجد وملحقاته وسيرة عبدالعزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود ، ملك الحجاز ونجد وملحقاتهما ، مؤسسة دار الريحاني ، بيروت، ط٤ ، عام ١٩٧٠م .

٢٠ – الزركلي ، خير الدين الزركلي ، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، دار العلم للملايين ، بيروت ط٢ ، ١٩٧٧م .

٢١ – الزركلي ، خير الدين الزركلي ، الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ، دار العلم للملايين ، بيروت ط٤ ، ١٩٨٤م .

٢٢ – زيدان ، محمد حسين زيدان، عبدالعزيز والكيان الكبير، ط٢ ، ١٤٠٦هـ الرياض.

٢٣ – سعود، طلال بن عبد العزيز آل سعود، صور من حياة عبدالعزيز، أعدها كامل الكيلاني ، مطابع حنيفة بالرياض ، ط١ ، ١٤٠٢هـ .

٢٤ – سعيد ،أمين سعيد ، تاريخ الدولة السعودية ، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز .

٢٥– السماري ، فهد بن عبدالله السماري ، مكتبة الملك عبدالعزيز آل سعود الخاصة ، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز .

٢٦– شاكر، فؤاد شاكر، الملك عبدالعزيز، سيرة لا تاريخ ، ط١ ، ١٣٩٥هـ ، جدة.

٢٧ – شرف ، عبدالعزيز شرف، ومحمد شعبان ، عبدالعزيز آل سعود وعبقرية الشخصية الإسلامية ، دار المعارف بمصر ، ط١ ، ١٤٠٣هـ .

٢٨ – آل الشيخ ، عبدالرحمن آل الشيخ ، مشاهير علماء نجد وغيرهم ، دار اليمامة بالرياض، ط٢ ، ١٣٩٤هـ .

٢٩ – عبدالباقي، محمد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الحديث بالقاهرة ، ط٢ ، ١٣٩٤هـ .

٣٠ – آل عبدالمحسن ، الشيخ إبراهيم بن عبيد آل عبدالمحسن ، تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الزمان ، ط١، مطابع مؤسسة النور بالرياض .

٣١ – العتيبي ، إبراهيم بن عوض العتيبي ، تنظيمات الدولة في عهد الملك عبدالعزيز ، مكتبة العبيكان بالرياض ، ط١ ، ١٤١٤هـ .

٣٢ – عساف، عبدالمعطي عساف، التنظيم الإداري في المملكة العربية السعودية، دار العلوم بالرياض ، ط١، ١٤١٤هـ .

٣٣ – عسه / أحمد عسه ، معجزة فوق الرمال ، المطابع الأهلية اللبنانية ، ط٣، ١٣٩١هـ .

٣٤ – عيسى ، الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى ، عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر ، بتحقيق : الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف ملحق بتاريخ ابن بشر، طبع وزارة المعارف ، ١٣٩٠هـ .

٣٥ – الغلامي ، عبدالمنعم الغلامي ، الملك الراشد ، دار اللواء بالرياض ، ط٢ ، ١٤٠٠هـ .

٣٦ – القابسي ، محيي الدين القابسي ، المصحف والسيف ، دار الناصر بالرياض ، ط٣ .

٣٧ – قلعجي ، قدري قلعجي ، موعد مع الشجاعة ، دار الكاتب العربي ببيروت ، ط١ ، ١٣٩١هـ .

٣٨ – ماجة ، الإمام ابن ماجة ، سنن ابن ماجة ، ط ١ .

٣٩ – مالك ، الإمام مالك ، الموطأ ، مع شرح الزرقاني ، دار المعرفة ببيروت ، ١٤٠٩هـ .

٤٠ – المانع ، محمد ، المانع ، توحيد المملكة العربية السعودية ، ترجمة د.عبدالله العثيمين ، مطابع المطوع بالدمام ، ط٢ ، عام ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

٤١ – مسلم ، الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، شرح النووي ، دار إحياء التراث بلبنان ، ١٩٧٢م .

٤٢ – المصلوخي ، عبدالكريم المصلوخي ، رجل وأمة ، شركة الرابطة ببغداد ، ١٩٨٥م .

٤٣ – المطلق ، إبراهيم المطلق ، التدرج في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ، مطبوعات مركز البحوث بوزارة الشؤون الإسلامية ، ١٤١٧هـ ، بالرياض .

٤٤ – منظور ، ابن منظور ، لسان العرب ، ترتيب الخياط ، نشر دار لسان العرب ، ببيروت .

٤٥ – ميشان ، بنوا ميشان ، الملك عبد العزيز: سيرة بطل ومولد مملكة ، نقله إلى العربية : عبد الفتاح ياسين ، دار الكتاب العربي .

٤٦ – هارون ، منير هارون ، المملكة العربية السعودية ؛ الشريعة الإسلامية تحكم ، دار الإسراء بالرياض ، ط ١ ، ١٤١٤هـ .

٤٧ – هذلول ، الأمير سعود بن هذلول ، تاريخ ملوك آل سعود ، ط٢ ، مطابع المدينة بالرياض ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

٤٨ – الهميل ، خالد الهميل ، العلاقات بين الملك عبدالعزيز والأشراف وضم الحجاز ، دار اليراع بالرياض ، ط١ ، ١٤١٣هـ .

٤٩ – وهبة ، حافظ وهبة ، جزيرة العرب في القرن العشرين ، مطبوعات مركز البحوث ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط١ ، ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م .

٥٠ – وهبة ، حافظ وهبة ، خمسون عاماً في حزيرة العرب ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط١ ، ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م .

الدوريات :

٥١ – جريدة أم القرى ، ٨ – ١٢ – ١٣٥٢ ، ٣٠ – ١١ – ١٣٤٤ ، مصورات فلمية ، مكتبة الملك فهد بالرياض .

٥٢ – مجلة الفيصل ، العدد ٢٣٩، جمادى الأولى ١٤١٧هـ .

٥٣ – مجلة الكويت ، شوال ١٣٤٨هـ .

(فهرس الموضوعات)

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

طبع بمطابع الناشر العربي

الرياض - هاتف ٤٥٣٠٠١١

فاكس ٤٥٦٣١٤٥

مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية

١٣١٩ - ١٤١٩ هـ

جاءت فكرة الاحتفال بمناسبة مرور مائة عام على دخول الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود - يرحمه الله - مدينة الرياض، وتأسيس المملكة العربية السعودية؛ تأكيداً لاستمرار المنهج القويم والمبادئ السّاميَة التي قامت عليها المملكة، ورصداً لبعض الجهود المباركة التي قام بها المؤسس الملكُ عبدُ العزيز في سبيل توحيد المملكة؛ عرفاناً بفضله، ووفاءً بحقّه، وتسجيلاً لأبرز المكاسب والإنجازات الوطنية التي تحقّقت في عهده وعهد أبنائه خلال المائة عام، والتعريف بها للأجيال القادمة.

وما الأعمال العلمية التي تُصدرها الأمانة العامة للاحتفال بهذه المناسبة - وهذا الكتاب أحدها - إلا شواهد صادقة على نهضة هذه البلاد الزاهرة في ظل دوحة علم؛ أصولها ثابتة وفروعها نابتة، تولّى غرسها الملك المؤسس، وتعهّدها من بعده بنوه؛ فواصلوا رعايتها وعنُوا بخدمتها حتى عمَّ البلادَ خيرُها، وانتفع بها الجميع.

